سلسلة شعب الإيمان

١

الإيمان بالله جل جلاله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان.

رواه البخاري ومسلم وغيره

الإيمان بالملائكة

أداء الأمانات

بر الوالدين

الحياء

الإيمان باليوم الآخر

الأمر بالمعروف

محمد حسن الحمصي

دار الرشيد

الإهداء

الى كل من يُعمل فكره للتعرف على حقيقة الايمان ...

الى كل من يطهر قلبه لينهل من معين الايمان ...

الى كل داع الى الله أفنى عمره في سبيل ترسيخ دعائم الايمان ...

الى المربي الكامل ، الذي يربي النفوس على الايمان ...

أهدي كتابي هذا ؟

المؤلف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم . والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد .

كثيرا ما نرى المرء ، تتقدم به السن ، ويشيب عارضاه ، يحمد الله على دين الاسلام ، ويدعو ربه عز وجل أن يحييه على الايمان ، ويميته على الايمان ؛ وهو يجهل حقيقة ما يطلب ؛ بل لربما نراه بعيدا عن جوهر الايمان ، لم يسر خطوة واحدة في الطريق الموصلة اليه .

ذلك أن الايمان ليس شيئا ماديا يرى بالعين المجردة ، أو يلمس بالحواس الظاهرة ، بل انما هو

أمر معنوي يجد المسلم حلاوته في قلبه ، وتظهر آثاره في نطاق السلوك الفردي ، من أقوال وأعمال .

وقد رأيت أنه من الضروري أن نأتي على هذا الجوهر الغالي شرحا وتفصيلا ، حتى يعرف المرء المسلم موطىء قدمه من هـذه الأمنية الغالية التي يتمناها كل يوم ، فنيسر له السبيل بذلك لينتقل من نطاق الأماني الى مضمار العمل الجاد الدؤوب ، ليسمو بنفسه ، ويسارع للوصول الى بغيته قبل أن يفوته قطار الحياة الذي يطير به على جناح السرعة ، ليودعه في مقره الأخير ، حيث ينتهي أوان الكسب والعمل .

ولم أجد في هذا المجـال خيرا من أن أضع يـد القارىء العزيز ، على شعب الايمان وفروعه ، لتكون واضحة بين يديه ، فيعرف مكانه منها ؛ ومتى عرف الانسان نفسه ، وأدرك مكانه ، سهل عليه استدراك ما ينبغي عليه استدراكه ، اذ أن المرض متى عرفت حقيقته سهلت مداواته ، وأمكن اجتناب أخطاره .

وشعب الايمـان كثيرة ، تربو على السبعين .

فقد روى الامام مسلم عن أبي هريرة ـ رضي

الله عنه أن رسول الله (ص) قال:
وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الايمان) ٠

هذا وقد حصر الامام البيهقي شعب الايمان هذه ، فبلغ تعدادها لديه سبعا وسبعين شعبة ، نثبتها فيما يلي :

١ ــ الايمان بالله عز وجل ٢ ــ الايمان برسل الله ٣ ــ الايمان بالملائكة ٤ ــ الايمان بالقرأن وجميع الكتب ٥ ــ الايمان بأن القدر خيره وشره من الله تعالى ٦ ــ الايمان باليوم الآخر ٧ ــ الايمان بالبعث بعد الموت ٨ ــ الايمان بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم ٩ ــ الايمان بأن دار المؤمنين الجنة ودار الكافرين النار ١٠ ــ الايمان بوجوب محبة الله عز وجل ١١ ــ الايمان بوجوب الخوف من الله عز وجل ١٢ ــ الايمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل ١٣ ــ الايمان بوجوب التوكل على الله عز وجل ١٤ ــ الايمان بوجوب محبة النبي (ص) ١٥ ــ الايمان بوجوب تعظيم النبي (ص) ١٦ ــ شح

للمرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب اليه من الكفر ١٧ ـ طلب العلم وفضل العلم والعلماء ١٨ ـ نشر العلم النافع ١٩ ـ تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه وحفظ حدوده وأحكامه وعلم حلاله وحرامه وتبجيل أهله ٢٠ ـ الطهارات ٢١ـ الصلوات الخمس ٢٢ ـ الزكاة ٢٣ ـ الصيام ٢٤ ـ الاعتكاف ٢٥ ـ الحج ٢٦ ـ الجهاد ٢٧ ـ المرابطة في سبيل الله تعالى ٢٨ـ الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف ٢٩ ـ أداء الخمس من المغنم الى الامام أو عامله ٣٠ العتق بوجه التقرب الى الله ٣١ ـ الكفارات الواجبات ٣٢ ـ الايفاء بالعقود ٣٣ ـ تعدد نعم الله عز وجل وما يجب عن شكرها ٣٤ ـ حفظ اللسان عما لا يحتاج اليه ٣٥ ـ الأمانات وما يجب فيها من أدائها ٣٦ ـ تحريم قتل النفوس والجنايات عليها ٣٧ ـ تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف ٣٨ ـ قبض اليد عن الأموال وتحريم السرقة ٣٩ـ وجوب التورع في المطاعم والمشارب ٤٠ـ تحريم الملابس والزي والأواني المخالفة ٤١ ـ تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة ٤٢ ـ الاقتصاد

في النفقة و تحريم أكل المال بالباطل ٤٣ ـ ترك الغل
والحسد ٤٤ ـ تحريم الوقوع في أعراض النـاس
٤٥ ـ اخلاص العمل لله و ترك الرياء ٤٦ ـ السرور
بالحسنة والاغتمام بالسيئة ٤٧ ـ معالجة كل ذنب
بالتوبة ٤٨ ـ القرابين ٤٩ ـ طاعة أولي الأمر
٥٠ ـ التمسك بما عليه الجماعة ٥١ ـ الحكم بين
الناس بالعـدل ٥٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ٥٣ ـ التعاون على البر و التقوى ٥٤ ـ الحياء
٥٥ ـ بر الوالدين ٥٦ ـ صلة الرحم ٥٧ ـ حسن
الخلـق ٥٨ ـ الاحسان الى المماليك ٥٩ ـ حـق
السادة على المماليك ٦٠ ـ حقوق الأولاد والأهل
٦١ ـ مقاربة أهل الدين ومودتهم وافشاء السلام
بينهـم ٦٢ ـ رد السـلام ٦٣ ـ عيـادة المريض
٦٤ـ الصلاة على من مات من أهل القبلة ٦٥ـ تشميت
العاطس ٦٦ـ مباعدة الكفار و المفسدين ٦٧ـ اكرام
الجـار ٦٨ ـ اكرام الضيف ٦٩ ـ الستر عـلى
أصحاب الذنوب ٧٠ ـ الصبر على المصائب وعما
تنزع النفس اليه من لـذة وشهوة ٧١ ـ الزهـد
٧٢ ـ الغيرة على الأهل ٧٣ ـ الاعراض عن اللغو

٧٤ ـ الجود والسخاء ٧٥ ـ رحم الصغير وتوقير الكبير ٧٦ ـ اصلاح ذات البين ٧٧ ـ أن يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه والنصح لكل مسلم .

ونحن في هذه السلسلة (شعب الايمان) سنعمل باذن الله تعالى على دراسة هذه الشعب السالفة الذكر واحدة بعد أخرى ، مبتدئين بالايمان بالله تعالى الواحد الاحد ؛ وهي أعلى الشعب مرتبة في نظر الشرع الحنيف .

ومهما نبذل من جهد في سبيل ايفاء هذا الموضوع حقه ، فاننا نعترف سلفا أننا لن نستطيع ذلك ؛ فالموضوع عظيم ، والبحث خطير ؛ وليس لنا الا أن نعتمد على المولى العلي القدير، ليسدد خطانا ويوفقنا في عملنا، لعله يكون من وراء هذا العمل خير، فيهتدي انسان الى سواء السبيل ، فيكون ذلك خيرا لنا من الدنيا وما فيها ، شعارنا في ذلك ما رواه الامام البخاري عن الرسول الكريم (ص) :

(لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) .

فالله نسأل أن يتوج بالتوفيق عملنا ، انه على ما يشاء قدير ؟

دمشق /١٦/صفر/١٣٩٥ هـ

الموافق /٢٧/٢/١٩٧٥ م

محمد حسن الحمصي

★ ★ ★

الايمان بالله تعالى

لا شك في أن للايمان جذورا تمتد الى أعماق النفس الانسانية . فلا يكاد المرء يفكر في هذا الأمر الا وتهتز أوتار القلب خشوعا بين يدي جلال الله سبحانه وتعالى . خالق الكـون ، موجد السماوات السبع الطباق . العزيز العليم القدير ...

ولا يكاد المرء يفكر في الايمان الا ويجد نفسه أمام صرح شامخ كالطود العظيم ، فلا يستطيع أن ينفي عن نفسه مشاعر الهيبة الجامحة ، ولا يجد بدا من الخضوع بين يدي بديع السماوات والأرض ، الحكيم الخبير .

وهكذا يرى المرء ذاته ، عاجزا عن التفكير في حقيقة ما غلب عليه وسيطر على وجدانه ... انه

يعيش وسط بحر لجي محيط ، فلا يستطيع أن يدرك شيئا غير عظمة هذا البحر ٠٠٠ أما من أين يبدأ ، والى أين ينتهي ، فانه لأمر بالغ الصعوبة ، يقتضي منه أن يتجرد من الواقع الذي هو فيه ، ليقف على الشاطيء ، ويتأمل من بعيد ٠٠

وكذلك الايمان ٠٠٠ انه بحر محيط زاخر لا ساحل له ، ينعم فيه المؤمن ، فيصعب عليه أن يجد تعريفا له ، فلا يجد أفضل من أن يقول : الايمان هو الايمان وكفى ، وليس على من يريد أن يعرفه الا أن يسلك مسالكه ، ليتذوق حلاوته ، ويعيش في بحبوحة نعيمه الوفير ٠٠٠

غير أن الحقيقة العلمية تتطلب من المؤمن ، في مثل هذا الموقف ، أن ينزوي بتفكيره قليلا عن أعماق بحر الايمان ، ليقف على شاطئه ، متأملا متفكرا ٠٠٠

وما أعظمه من موقف ، عندما يجد الانسان نفسه، وقد أحاط بهذا النبع الصافي الذي كان ينهل منه ، يرنو من بعيد الى أعمق أغوار الايمان التي امتدت أمام ناظريه ، وهو يفكر فيها تفكير العالم المنصف ، الذي يطلب الحقيقة ، ولا يرتضي غير الحقيقة !!

فيبدأ النظر من أول الشاطىء، من نقطة الصفر . من حيث لا شيء ؛ جاهـدا في التعرف على كـل شيء . . .

★ ★ ★

الإيمان

بوجود الله الواحد الأحد

الايمان بوجود الله عقيدة تملأ الشرايين ، وتسري من الانسان مسرى الدم ... انها فطرة فطرت عليها النفوس البشرية ... ويكفيك دليلا على هذا أن الانسان الملحد ، اذا ما وقع في شدة أو أحدق به خطر عظيم ، تتطاير من ذهنه الأوهام والخيالات ، وتنتفي عنه الأباطيل والتزييفات ، ولا يبقى في أعماق نفسه الا كل ذي جذر عميق متين، راسخ في أصول الحقيقة، فيصيح بأعلى صوته : (يا الله) !!

حقا انها الحقيقة الراسخة في أعماق أعماق النفوس الانسانية ؛ ومهما طغت على هذه الحقيقة الراسخة أوهام من زائف التفكير وسراب الضلال ، فان جوهرها الأصيل لا يتأثر أبدا ... بل نراها

تقبع في أعماق النفس ، بانتظار الظروف المناسبة ..
ولا تكاد تسنح الفرصة ، حتى تطفو على السطح مرة أخرى ، لتثبت وجودها الصارخ ، على الرغم من الدعاوى والغلواء !!

ولربما كان هذا الكلام غير كاف في نظر الذين اتخذوا الشك مبـدأ يتمسكون به تمسك الغريق بتلابيب من يريد انقاذه ؛ حتى صار الشك ، بالنسبة اليهم ، غاية وهدفا يسعون وراءه لاهثين ... في حين أن الشك ما كان في النظر العلمي السديد الا وسيلة للوصول الى الحقيقة ...

وحتى لا ندع مجالا لشياطين البغي لتوسوس في الصدور ، وتلقي في ظلمات الجهالة بعضا من ضعاف الايمان ، نوجز القول في دليلين اثنين فقط ، من جملة الأدلة الكثيرة على وجود الله سبحانه وتعالى ..

★ ★ ★

الدليـــل

على وجـود الله سـبحانه وتعـالى

دليـــل السببـــية

قبل أن نبدأ بذكر دليل السببية ، لا بد لنا من أن نشير الى حقائق يدركها كل متأمل في هذا الكون ، ادراكا لا يحتاج الى برهان ؛ حتى صارت من المسلمات التي لا يختلف ، ولا يمكن أن يختلف ، عليها اثنان :

١ ـ ان كل ما في هذا الكون في حركة دائبة تطرأ عليها تغيرات مستمرة ، سواء أكنا نلاحظ ذلك مباشرة ، أو كنا نحتاج الى تأمل وانعـام نظر حتى ندرك تلك الحركة وذلك التغير .

فما من انسان له حظ بسيط من الثقافة يجهل حركة الأرض والشمس والنجوم والمجرات كلها ، حركة دائمة مستمرة ...

وما من انسان لا يلاحظ تحول الأغذية من نباتات ولحوم الى دم ، ثم الى قدرة حرارية ، أو الى مواد تبني نسيج جسم الانسان . أو تساعد في تكوين الحيوانات المنوية التي تتحول — اذا ما أتيحت لها الفرصة — الى أحياء أخرى لها وجودها المستقل ...

وما من انسان له حظ يسير من العلم يجهل تحول الصوت الى موجات كهرطيسية (كهربائية — مغناطيسية) تنتشر في الفضاء . ثم تعود كرة أخرى لتتحول الى صوت في الاجهزة اللاقطة (المذياع) ...

بل ان ما اكتشفه العلم . من الحركة والتغير في ذرات المادة ، لأكبر دليل على ما نقول ... فكل شيء في هذا الكون مؤلف من ذرات صغيرة متناهية في الصغر ، بحيث لا تدركها أكبر المجاهر الحديثة ، وكل ذرة من هذه الذرات الصغيرة تتألف من نواة يدور حولها عدد من الكهارب (الالكترونات) دورانا سريعا في أفلاكها المحددة ...

وهناك معادن مشعة (كمعدن الراديوم) تطلق بصورة مستمرة بعضا من كهاربها حتى تتحول في النهاية الى معدن آخر (فمعدن الراديوم مثلا يطلق

كهاربه باستمرار الى أن يتم تحوله الى رصاص) .

ولا مجال للشك – بعد التأمل في معطيات العلم الحديث – في أن كل شيء في هذا الكون في حركة دائمة وتغير مستمر .

٢ ـ والحقيقة الثانية التي يدركها الانسان ، صارخة أمامه ، هي أنه ليس هناك تغير يحدث في الوجود من غير سبب ، كما أنه ليس هناك شيء يوجد في الكون من غير موجد .

انها بدهية لا يتصور العقل خلافها ... استنتجها الانسان من ملاحظته لحوادث الكون التي يراها كل يوم ... فلم ير انسان ، منذ وجد الانسان على ظهر البسيطة ، أن حادثا حدث من غير سبب ، أو أن شيئا وجد من غير موجد .

ولهذا نستطيع أن نجزم أنه لا بد لكل تغيير يحدث في أي جزء من أجزاء الكون من سبب أثر فيه تأثيرا كافيا لتحويله من وضع لآخر .

٣ ـ ان اعمال النظر في الحقيقتين السالفتين ، لا بد الا أن يقود الى حقيقة أخرى تكون نتيجة لهما ...

ذلك أننا سلمنا أن أجزاء الكون في حركة دائبة وتحول مستمر •

وسلمنا أن كل تحول أو حركة تحدث في هذا الكون لا بد لها من سبب •

اذن فالنتيجة التي تقودنا اليها هاتان الحقيقتان هي أن هناك أسبابا متعاقبة ، بعضها ناشيء عن بعض ، أدت جميعا الى تلك الحركة الدائبة وذاك التغير المستمر •

هذا وان كل متفحص عاقل ينظر في تعاقب الأسباب وتأثير بعضها في بعض ، لا بد له الا أن يجزم بأن هناك سببا أصيلا نشأت عنه كل تلك الأسباب العارضة ، سببا أول نشأت عنه بقية الأسباب المؤثرة الى ما لا نهاية ، بل لا بد لها من أن تقف عند سبب وحيد أول •

ونستطيع أن نسمي هذا السبب الأصيل الأول ب « سبب الأسباب » — وعلى هذا نستطيع أن نقول :

ان كل هذه التغيرات الكونية لا بد لها قطعا من سبب حقيقي يكون :

ـ كامل القدرة ، اذ صدرت عنه القوى الكونية

الهائلة التي تتحكم في هذا الكون الفسيح العظيم وتسيره على أدق نظام ، كما قال الله تعالى : « وكل في فلك يسبحون » .

ـ **كامل الحياة** ، اذ دبت عنه صورة الحياة في الأجساد الحيــة .

ـ **كامل العلم** ، اذ صدرت عنه العقول القابلة للعلم والمعرفة .

ـ **كامل الحكمة** ، اذ صدر عنه كل أمر متقن محكم .

ـ **منزه** عن التغير والتحول والضعف .

ـ **واجب الوجود** في ذاتــه وفي صفاته ، لئلا يلــزم احتياجه الى سبب آخر .

وهذا السبب الحقيقي الواجب الوجود ، الكامل الصفات هو « الله سبحانه وتعالى » .

. . .

هذا وقد اعتمد أعرابي بدوي على هذا الدليل في اثباته وجود الخالق سبحانه ، عندما قال جرياً على الفطرة البدوية الصافية :

« البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير:

ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، أفلا تدل على الصانع الخبير » ؟!!

. . .

كما اعتمد على هذا الدليل الامام « أبو حنيفة » – رضي الله عنه – فساق الدليل بشكل عملي جعل الخصم ينطق بالحق ، من حيث لا يشعر ...

لقد دعي الامام « أبو حنيفة » لمناظـرة بعض الزنادقة الملحدين .. وضُرب لذلك موعد محدد ..

ولما حان الموعد المضروب، اجتمع الزنادقة في المكان المحدد ، على ملأ من الناس ...

وتأخر الامام « أبو حنيفة » عن الموعد المحدد... وانتظره المجتمعون ، حتى ضاقوا ذرعاً بذلك التأخير ... وأخذ الزنادقة يتيهون اعجابا بأنفسهم وبما يدعون من انكار وجود الخالق سبحانه ، متخذين من غياب الخصم عن موعد المناظرة دليلاً على عجزه عن اثبات ما يدعيه ...

وما كاد تيه الملحدين بأنفسهم وبدعواهم يبلغ أوجه ، وما كاد تبرم الحاضرين من تأخر الامام يبلغ ذروته ، حتى حضر الامـام « أبو حنيفة » وبادر

الخصوم بالاعتذار عن تأخره ، محتجا بأنه كان مزمعا على الحضور في الوقت المحدد ، فقال :

لقد كنت على الطرف الثاني من نهر دجلة ، ولم أجد مركبا ينقلني عبر النهر، فاضطررت الى الانتظار طويلا ، غير أنني لم أظفر بحاجتي ...

ولما يئست من وصول مركب ينقلني الى الشاطىء الآخر من النهر ، هممت بالعودة الى منزلي ... غير أني رأيت على النهر من بعيد ، ألواحا من الخشب قادمة بنفسها ، وما ان وصلت قريبا مني ، حتى بدأت هذه الألواح الخشبية ينضم بعضها الى بعض ، لتصير بين يدي زورقا حسنا ، فركبته ، وقطعت به النهر ، وقدمت اليكم !!

فقال الزنادقة جميعا: أتهزأ بنا يا « أبا حنيفة »؟! وهل يمكن أن تأتي ألواح الخشب بنفسها كما وصفت ، فتتشكل زورقا ؟!!

فقال لهم : هذا ما اجتمعتم لتجادلوني فيه ... فاذا كنتم لا تقبلون أن زورقا يصنع نفسه بنفسه ، فكيف تدعون أن هذا الكون المتقن العجيب ، بما فيه

من سماء وأرض وانسان وحيوان ، قد وجد بنفسه ، وجرت حوادث تغيراته هكذا ، من غير خالق موجد ؟!

فبهت الزنادقة ، ووقفوا لايحيرون جوابا ، بعد اذ لزمتهم الحجة الدامغة ؛ وأسلموا على يده رضي الله تعالى عنه ...

. . .

وكما كان دليل السببية سببا في ايمان أعرابي بدوي تأمل الكون ، كذلك فان دليل السببية نفسه كان ولا يزال ، دافعا الى الايمان للعديد من كبار العلماء المتخصصين في الشؤون العلمية ... فأستاذ الطبيعة الحيوية ، وعضو جمعية الابحاث النووية في الولايــات المتحدة ، الدكتــور « بول كليرانس ايرسولد » يقول في مقال له بعنوان : « الأدلة على وجود الله » :

« ان الأمر الذي نستطيع أن نثق به كل الثقة هو أن الانسان وهذا الوجود من حوله ، لم ينشآ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق ، بل ان لهما بداية ،

ولا بد لكل بداية من مبدىء ... وان معجزة الحياة ذاتها لها بداية ، كما أن وراءها توجيها وتدبيرا خارج دائرة الانسان ، انها بداية مقدسة ، وتوجيه مقدس ، وتدبير الهي محكم »(١) .

. . .

هذا وقد أشار القرآن الكريم الى دليل السببيه في كثير من الآيات . التي نبهت الى معنى التغير الدائم في هذا العالم . ولفتت النظر الى أن ذلك يدل على وجود الاله الخالق ...

غير أن هذه الآيات لم يرد فيها لفظ السبب ، بل ورد فيها لفظ أدق تعبيرا ، يتناسب مع صفة الألوهية ، ألا وهو لفظ (الخلق) ... ذلك أن السببية متى انتهت الى العليم الحكيم المريد المختار القادر على كل شيء . كانت خلقا ...

قال تعالى :

« ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل

---

(١) عن كتاب : « الله يتجلى في عصر العلم » . صفحة ٤٠ .

والنهار لآيات لأولي الألباب »(١) ٠

وقال جل وعلا :

« ان في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين ٠ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ٠ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ٠ »(٢) ٠

وقال عز من قائل :

« هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ٠ هو الذي يحيي ويميت ، فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون »(٣) ٠

حقا انه جل وعلا هو المحيي والمميت ، هو الخالق المبدع المتصرف ، هو السبب الواجب الوجود ، هو

---

(١) « سورة آل عمران » : الآية : ١٩٠ ٠

(٢) « سورة الجاثية » : الآية ـ ٣ ، ٤ ، ٥ ـ ٠

(٣) « سورة المؤمن » : الآية ٦٧ ، ٦٨ ٠

الموجد الذي يميل العقل السليم والفطرة الصافية الى الاقرار بوجوده جل وعلا • وأما أولئك الذين يتنكبون جادة الحق فانهم قوم أقل ما يقال فيهم انهم ما استعملوا عقلا سليما ••• قال تعالى : « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولون الله ، قل الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون »(١) •

★ ★ ★

---

(١) « سورة العنكبوت » : الآية ٦٣

الدليل

على وجود الله سبحانه وتعالى

دليل الإتقان

ان الانســـان لا يرى ترتيبا متقنـــا محكما في أي مركب من المركبات ، الا و يعتقد جازما ، أن هناك من أتقنه ورتبه هذا الترتيب المحكم •

فإذا رأينا كأس ماء قلنا : هناك موجد أوجده على هذا الشكل المتقن الجميل

واذا رأينا كتابا قلنا : هناك من صف حروفه ، وقام بطباعته ، وجمع أوراقه ، ورتبها ، وقصها ، حتى خرجت على هذا الشكل الأنيق المتقن •

وهكذا الأمر في كل شيء نلحظ فيه الدقة والاحكام في الصنـــع ؛ فلا نكاد نلاحظ مركبا على وجه من الاتقان والحكمة، حتى نجزم بداهة ان متقِنا خيا عالما قادرا مريدا حكيما قد اتقن صنعه •

أجـــل ... اننا نجزم ونقطع بوجود الصانع الحكيم لدى رؤية أي مركب من الأمور الجزئية في هذا الكون ...

فكيف الأمر بنا اذا نظرنا نظرة عامة شامله الى الكون الفسيح،

بأرضه وشمسه ونجومه وكواكبه، هذا الكون العظيم الذي أتقن صنعه اتقانا ليس بعده اتقان ، وأحكم تكوينه احكاما يجعل العقول العظيمة تقف كليلة أمام تقصي دقة صنعه واحكام نظامه ؟!

أفلا يجعلنا هذا الاتقان المحكم نجزم جزماً لا تردد فيه ان هنالك صانعا حكيما عليما ، قد أتقن الصنع وأحكم الأمور ؟!

فالأرض والشمس والنجوم التي تملأ السماء ، ما هي الا كواكب تسير سابحة في هذا الكون العظيم الفسيح ، وفق مخطط دقيق مرسوم ، لا تحيد عنه مطلقا ... ولو أن نجماً منها غيـَّر سرعته ، زيادة أو نقصانا ، أو غيـَّر مساره قليلا ، لأدى ذلك الى اختلال نظام التجاذب القائم بين الكواكب ، وبالتالي فانه يؤدي الى اصطدام بعضها ببعض ودمارها ... غير أنها قد أحكم تكوينها في دقة متناهية بحيث تقف سابحة في الفضاء الفسيح اللامتناهي !!

والنباتات التي تكسو الأرض خضرة تمتع الناظرين ، قد أتقن صنعها كذلك ، فهي تقوم بتصفية الهواء مما يطلقه الانسان وجميع الأحياء ، وتطلقه مداخن المعامل الصناعية ، من غاز الفحم الذي لو زادت نسبة وجوده في الهواء على النسبة التي هو فيها ، لأدى ذلك بالمخلوقات الى التسمم فالموت ... ان يخضور النبات الذي يكسب النباتات لون الخضرة ، قد أحكم صنعه ، بحيث يمتص غاز الفحم الضار ، ويطلق الأوكسجين الذي يحتاج اليه كل ذي حياة ، فيقيم بذلك توازنا عجيبا في تركيب الهواء !!

وجسم الانسان نفسه ، هذا الجسم الذي يعمل ليل نهار باتقان لا مثيل له ، قد أحكم تكوينه ، بحيث يقوم بوظائفه ، ويؤدي الغايات المطلوبة خير أداء .. ويكفي لادراك شيء من احكام صنع جسم الانسان أن نذكر أن هذا الانسان قد استطاع أن يصنع أدق الأدوات وأشدها حساسية ، استطاع أن يصمم العقل الالكتروني ، وأن يفتت الذرة ، وأن يصل الى القمر .. افليس هذا كله دليلا كافيا على دقة صنع العقل الانساني ، بل على الاعجاز في احكام صنعه ؟!

ان التأمل في كل شيء في هـذا الكون ، صغيره وكبيره ، يدل على الدقة والاتقان في الصنع ...

ويضيق بنا المجال ، اذا ما حاولنا تقصي نواحي هذا الاتقان ... فلا يكاد الانسان يلتفت يمنة أو يسرة ، أو ينظر الى الامام أو الوراء ، الا ويدهش لهذا الاتقان العجيب في الكون ...

زد على ذلك أن العلم لا زال في كل يوم يأتينا بجديد من المخترعات والمكتشفات ، التي تجعل الانسان يقف مشدوها أمام دقة الصنع ، والاتقان المحكم في هـذا الكون ؛ الأمر الذي يجعله يؤمن بالصانع العظيم الحكيم ، بالله رب العالمين .

. . .

ولقد أشار الى هذا الدليل على وجود الخالق ، عدد كبير من كبار العلماء المتخصصين ، في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا ، بعد أن أدت بهم اكتشافاتهم العلمية الى الاعتقاد بوجود الخالق ...

فالدكتور « توماس دافيز باركس » رئيس قسم

الكيمياء بمعهد بحوث « ستاتفورد » ، المتخصص بالنظريات الكهربية والأشعة السينية يقول :

« انني أقرأ النظام والتصميم في كل ما يحيط بي من العالم غير العضوي ، ولا أستطيع أن أسلم بأن يكون كل ذلك قد تم بمحض المصادفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتآلف بهذه الصورة العجيبة ..

ان هذا التصميم يحتاج الى مبدع .. ونحن نطلق على هذا المبدع اسم : الله »(١) .

. . .

لنمعن النظر في البيوت السداسية الشكل التي تصنعها النحلة ، وقد رصف بعضها الى جانب بعض رصفا بديعا ، يدل على ذوق أنيق ، وفكر هندسي رفيع ...

« فمن أين تسنى للنحلة منذ أقدم العصور ، أن تبني بيتها على هذا الشكل السداسي الجميل قبل أن يعرف الانسان المتعالي المتباهي علوم الهندسة ، وقبل أن يثبت لدى علماء الهندسة أن الشكل

---

(١) عن كتاب « الله يتجلى في عصر العلم » : صفحة ٤٤ .

السداسي ، هو الشكل الوحيد – بين جميع الأشكال الهندسية القريبة من الدائرة – الذي يصلح لأن يملأ الحيز الموجود دون أن يترك شيئا من الفراغات بينها ...

« أرأيت الى هذه الروح الهندسية الغريبة ، التي لربما لا تُلحظ في غير هذه المملكة ، بيوت هندسية موحدة للجميع ، مناسبة لتربية اليرقات ، أقيمت على فكرة هندسية دقيقة ، بحيث يبنى أكبر عدد من البيوت في أقل مساحة !! فمن الذي وهب النحلة هذا الفكر الهندسي البديع ؟؟ »(١) .

« انظر الى هذه النحلات كيف تبني الغطاء للبيوت السداسية التي بها يرقات(٢) ... انها لا تخطىء أبدا ... انها تسير وفق نظام محدد ... فتبني لكل يرقة شغالة غطاء منبسط السطح ... وتبني لكل يرقة ذكر غطاء محدبا ...

---

(١) « النحلة تسبح الله » للمؤلف : صفحة ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) اليرقة : هي مرحلة من مراحل تطور البيضة قبل أن تصير نحلة كاملة . وهي الطور الثاني للبيضة ، وشكلها مثل الدودة .

« ثم بعد ذلك اذا نظرت الى هذه المادة التي تبني منها تلك السطوح المنبسطة أو المحدبة ، فانك ترى أنها تختلف عن المادة الشمعية الصافية التي تبني منها جدر البيوت السداسية ··· انهـا تبني هذه الأغطية من الشمع المخلوط بحبوب اللقاح··· ولولا هذا الخلط بحبوب اللقاح لماتت اليرقات ، ولما كان هناك نحل على ظهر الأرض ··· ذلك أن الشمع الصافي كتيم لا يسمح للهواء بالتسرب من بين ذراته ··· أما في حال وجود ذرات حبوب اللقاح الى جانب الشمع ، فان الهواء يستطيع أن يتسرب ليصل الى اليرقة ، فيساعدها على متابعة الحيـاة والتطور ، لتصير فيما بعد نحلة كاملة ·

« واذا تفحصت المادة التي تبني منهـا الشفالة الغطاء فوق عين سداسية بها عسل مخزن ، فانك ترى أنها من الشمع الصافي دون خلطه بحبوب اللقـاح المنفذة للهواء والرطوبة ··· ذلك أن غطاء العسل ينبغي أن يكون كتيما ، لا يسمح بتسرب الرطوبة لئلا يفسد ·

« أو لا ترى أيها الانسان أن انتباه النحل الى هذه

الخاصة المهمة من خواص حبوب اللقــاح المنفذة للهواء والرطوبة ••• وخلطه الشمع بمادة حبوب اللقاح أو تجريده منهــا . حسب ما تقتضيه المصلحة ••• كل ذلــك يــدل على عقل كبيرمنظم . يقف وراء هــذه التصرفــات المحيرة للعقول . فيضـع النقــاط على الحروف ، ويلهم النحلة ما فيه سدادها والمحافظة على وجودها !!

«أو لا ترى أن هناك يدا خبيرة بصيرة منحت النحل هذه الموهبة الهندسية البديعة . فجعلته يبني بيوته على هذا الشكل المتناسق ، وفق الأوصاف والمساحات ذاتها المعروفة في جميع أقطار الدنيا وعلى مر الزمان وكر الليالي ؟؟ »(١) •

قال تعالى : « ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٢) •

جل الصانع القدير « بديع السموات والأرض ، واذا قضى أمرأ فانما يقول له كن فيكون »(٣) •

---

(١) كتابنا « النحلة تسبح الله » : الصفحة ٢٨ ـ ٣٠ •

(٢) « سورة الرعد » : الآية ٣ •

(٣) « سورة البقرة » : الآية ١١٧ •

يقول عالم الرياضيات والفيزياء الأستاذ ايرل تشستر ريكس ، عضو الجمعية الرياضية الأمريكية:

« وليست خلايا النحــل الا مثلا من آلاف الأمثلــة التي نستطيع أن نضربها ، لبيــان الروعة والاتقــان والتوافق في كل ما هــو طبيعي ... **فاذا كان ذلك وغيره مما لا يحصى ، لا يدلني على وجود إله مدبر يسيطر على هذا الكون ويوجهه ، فليت شعري كيف أستطيع بعد ذلك أن أنتسب الى دائرة العلماء والمشتغلين بالعلوم ؟؟** »[1] .

★ ★ ★

---

(١) مقال : « الكون تحت سيطرة مركزية » : عن كتاب « الله يتجلى في عصر العلم » : الصفحة ١١٠ .

الطبيعة

ولئن ركب بعضهم رأسه وقال : ان الموجد الخالق لما في السموات والأرض انمـا هو الطبيعة ، فاننا لا نزيد على أن نقول لهم :

ما المراد بكلمة (الطبيعة) ؟

ان (الطبيعة) في اللغة هي السجية والخلق .

غير أن لهذه الكلمة (الطبيعة) في خيال الناس اليوم ، مفهومين اثنين :

أولهما : أن الطبيعة انما هي عبـارة عن **الاشياء ذاتها** ...

فالمـاء والنبات ، والحيوان والجمـاد ، والأكوان والأفلاك ، بمجموعها تؤلف (الطبيعة) .

ثانيهما : أن الطبيعة انما هي عبارة عن **صفات الاشيـاء**

وخصائصها وقابلياتها ...فالحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة ، والنعومة والخشونة ، وما الى ذلك من صفات ؛ والحركة والسكون ، والنمو والتغذي ، والتزاوج والتوالد ، وما الى ذلك من قابليات للأجسام ، تؤلف بمجموعها (الطبيعة) .

أما القول بالمفهوم الأول للطبيعة (ان الطبيعة هي الأشياء ذاتها) فانه ليس بجواب على السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح:(من الذي أوجد السموات والأرض ؟ من الذي أوجد الانسان والحيوان والنبات فأبدع الخلق ؟) . ذلك أن من يقول : ان الذي خلق ذلك كله انما هو الطبيعة ، ويقول : ان الطبيعة هي مجموع النبات والحيوان والجماد ، انما يدور في حلقة مفرغة نوضحها بالتالي :

س : من الذي أوجد النبات والحيوان والجماد ؟

ج : الطبيعة !!

س : ما الطبيعة ؟

ج : هي النبات والحيوان والجماد !!

وبذلك يجد المرء نفسه قد عاد من حيث بدأ ،

دون أن يحل في الأمر عويصا ؛ فما من انسان يقبل أن الشيء وجد بذاته من غير سبب ·

وهذا – لعمري – هو ما قيل عنه : (وفسر الماء بعد الجهد بالماء) ··· انه دوران في حلقة مفرغة ··· وسبب ذلك هو آن الذي قال بهذا القول ، اما أنه لم يكلف نفسه عناء التفكير في الخالق الموجد المبدع المتصرف، واما أنه يريد أن يتعامى عن الحقيقة الصارخة ، فيكون شأنه شأن النعامة التي ترهقها ملاحقة الصياد لها ، فتدس رأسها في الرمل ، وتظن أنها اذا لم تكن ترى الصياد فانه لن يرى جسمها الكبير المنتفخ !!

وأما القول بالمفهوم الثاني للطبيعة (ان الطبيعة هي صفات الاشياء وقابلياتها) ، فان نصيبه من النظر السديد ليس أكثر من نصيب القول الأول ·

فالحـــرارة والبرودة ، والرطوبـــة واليبوسة ، والنعومة والخشونة، وما الى ذلك من صفات للأشياء، أشد عجزا عن الخلق والابداع من ذات الشيء · فبعد أن أثبتنا (في المفهوم الأول) عجز الأشياء عن الخلق والابداع، يبدو لنا واضحا آن القول بأن صفاتهـــا هي التي

خلقت أشد تداعيا وسقوطا من القول الأول ؛ ذلك أن صفات الاشياء منفعلة بها ، وليست فاعلة لها • ولكم يجانب التوفيق أولئـــك الذين جعلوا الصفة المنفعلة سببا فاعلا !!

وكذلك فان قابلية الأجسام للحركة والسكون ، والنمو والتغذي ، والتزاوج والتوالد ، وما الى ذلك من قابليات ، ليست كل منهـا الا مجموعة صفات سميت قابلية ؛ وهي عرض من أعراض الشيء ، فكيف يمكن أن تكون سببا في خلقه وايجاده ؟؟!!

هذا بالاضافة الى أن القول بهذا المفهوم للطبيعة ، يستدعي أسئلة عديدة لا جواب عليها الا بالخروج عن هذه الدعوى (الطبيعة) !!

فمن الذي طبع الأشياء على هذه الصفات ومنحها هذه القابليات ؟؟

من الذي منحها القدرة على التأثير ؟؟

من الذي نوع طبائع الأشياء ، فجعل لكل منها قابلية خاصة ؟

سيل من الأسئلة يمكن أن ينهـال على الفكر الحـر ، بحيث يقف المـرء حياله حائـرا ، **لا يمكنه أن يجد الجـواب**

الشافي الا بعد أن ينبذ بدعة (الطبيعة) كما تنبذ النواة من الفـم !!

يقول الشاعر العربي أحمد الصافي النجفي :

هـل في عيـون الملحديـن عمـاء
أم في عقـول الملحديـن غبـاء !
أيجـوز عقـلا أن عقـلا مبدعـا
قـد أبدعتـه طبيعـة بلهـاء ؟
فاذا الطبيعـة ادركت وتصرفـت
قلنا : الطبيعة والالـه سواء !
الله أحيـا الكائنـات بسـره
وبسـره تتفـاعـل الأشيـاء !

★ ★ ★

المصادفة

ولئن تعامى بعضهم عن الحقائق الصارخة الناطقة بالتوحيد في كل شيء في هذا الوجود ، وادعوا أن ذلك كله انما تم مصادفة من غير موجد خالق ، فاننا نقول لهم :

لم يترك العلم اليوم مجالا لقول : (مصادفة) .. حتى ان (المصادفة) ذاتها قد قتلت بحثا وتمحيصا ، ووضعت لها القواعد العلمية الثابتة ، بعد دراسة دقيقة فيما يسمى (**قانون الاحتمالات**) .

وهناك مثال مبسط ، يضرب عادة لشرح قانون الاحتمالات ، نوجزه فيما يلي :

اذا كان لديك عشر قطع نقود مرقمة من الواحد الى العشرة ، وضعتها في جيبك وخلطتها ، ومددت

يدك لتسحب رقما من الأرقام تطلبه ، فان احتمال خروجه بيدك هو مرة واحدة من كل عشر مرات ، أي ١/١٠ ٠٠٠ واذا أردت أن يخرج بيدك الرقم ١ ثم الرقم ٢ بعده مباشرة ، فان احتمال حدوث ذلك هو ١/١٠×١/١٠ = ١/١٠٠ أي مرة واحدة في كل مئة مرة ٠٠٠ وهكذا ، فاذا أردت أن يخرج بيدك الأرقام العشرة متسلسلة من رقم ١ الى رقم ١٠ بالترتيب ، فان احتمال حدوث ذلك هو ١/١٠ مضروبا بنفسه عشر مرات=١/١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ أي مرة واحدة في كل عشرة مليارات مرة ٠

هذا ما يقوله علم حساب الاحتمالات ، وهذا أمر علمي ثابت ، لا يقبل الجدل ٠

وقد جرت العادة أن تطبق هذه القاعدة العلمية على كثير من الأمور والحوادث التي تقع تحت بصر الانسان ، وفي مضمار مشاهداته اليومية ، فيرى أنها جميعا تسير على الوتيرة ذاتها، دونما تغيير أو تبديل؛ ويستنتجون من هذا أن ذلك كله لا يمكن أن يحدث مصادفة ، بل لا بد له من موجد مدبر عليم قدير ٠

ويضربون لذلك مثلا ب (العرى الملونة) الموجودة

في كل من النطفة والبييضة ، فان عددها ثابت لا يتغير في كل نوع من انسان أو حيوان ، بها يختلف النوع ، ويتميز الجنس ، وهي حقيقة علمية لا تقبل الجدل.
وبما أن عدد هذه (العرى اللونية) ثابت لدى كل نوع من الكائنات الحية على وجه الأرض ، تكرر في كل حادثة ولادة حدثت منذ وجدت الحياة ، ولا زال يتكرر كل يوم أمام أعيننا وتحت بصرنا ، ملايين وملايين المرات ، اذن فانه **لا مكان للمصادفة في ذلك كله ، ولا بد من الاقرار بأنه تقدير العزيز العليم** ؛ خصوصا وأن هناك قاعدة في قانون المصادفات (حساب الاحتمالات) تقول :
(ان حظ المصادفة يتناسب عكسيا مع عدد الاحتمالات المتزاحمة)
فاذا كان الاحتمال بالنسبة الى عشرة أرقام واحدا من عشرة مليارات ، فما عسى أن يكون الاحتمال بالنسبة الى ملايين الارقام ، من ملايين الحوادث ، تتعاقب ليل نهار ، وتجري بنظام واحد لا يخطىء ، وحساب دقيق لا شك فيه ؟!

ويضرب بعضهم لذلك مثلا آخر ، بتبيان حظ المصادفة في اخراج كتاب كامل ، بحيث ان لحروف

المطبعة بكاملها تكوّن عند اختلاطها ، بالمصادفة ، كتابا كاملا من (٥٠٠) صفحة ، ينطوي على قصيدة واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة ، مترابطة ، متلائمة ، منسجمة بألفاظها وأوزانها وقوافيها ومعانيها ومغازيها ؛ فما هو احتمال حدوث ذلك كله في قانون المصادفات ؟

ان التزاحم هنا بين حروف الكتاب يجري بين (٥٠٠) ألف حرف على تكوين (١٢٥) ألف كلمة تقريبا ، بأشكال وترتيبات لا تعد ولا تحصى أبدا ، الأمر الذي يجعل حظ المصادفة بنسبة واحد ضد عدد هائل جدا جدا ، لو قلت عنه انه مليار مليار مليار لكان قليلا !!

فاذا كان هذا حظ المصادفة في اخراج كتاب المطبعة ، وكلماته المحدودة المعدودة ، فماذا يكون القول في كتاب الله الأعظم وكلماته التي يقول عنها جلت قدرته : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا »(١) ويقول جل شأنه : « ولو أن ما في الأرض

(١) « سورة الكهف » : الآية ١٠٩

من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »(١) .

ماذا يكون القول في كتاب الله الأعظم الذي هو العالم كله ، وكلماته التي هي كل ما في ملكوت السماوات والأرض من أشياء محسوسة أو معقولة لا حصر لها ولا حد ؟!

ان عدد الأشياء المتزاحمة في كتاب الكون (من ذرات ، وعناصر ، وأشكال ، ومقاييس ، وأوزان ، وخواص ، وطبائع، ونواميس، وأوضاع ، وظروف، وحدود ، وأزمان ، وأجواء) عددها هائل جدا ، لا يمكن مقارنته بعدد الأشياء المتزاحمة على تكوين كتاب !!

فهل يعقل أن يكون قد كتب الفوز لهذا الترتيب الشامل ، الكامل ، الدقيق ، المقدّر ، المتزن ، المتقن ، الجميل ، بمجرد المصادفة ، ضد عدد هائل من الممكنات الاخرى المتزاحمة ؟!

ان العقل الذي يرفض رفضا قاطعا أن تجتمع حروف المطبعة ،

---

(١) « سورة لقمان » : الآية ٢٧ .

بالمصادفة ، فتطبع كتابا كاملا ، ليرفض ـ من باب أولى ـ حدوث الكون بمجرد المصادفة .

. . .

هـذا وان الانسان ليستطيع أن يطبق قانون المصادفة ، على كل ما يرى في هذا الكون الذي أتقن صنعه اتقانا يدعو الى العجب ، وتزاحمت فيه الاحتمالات تزاحما كبيرا مدهشا ، بحيث يصل المرء الى نتيجة قاطعة ، ألا وهي : **أنه لا مجال لحدوث ذلك كله بالمصادفة .**

هذا أمر يصل اليه كل ذي تفكير منطقي سديد ... ولكنني رأيت هناك من يركب رأسه ، ويصر على أن حظ المصادفة مهما يكن يسيرا بعيدا ، فان هناك مجالا لأن يحدث ، وليس هناك ما يمنع وقوعها منعا باتا !!

لذلك ، فقد رأيت أن أقلب طريقة تطبيق قانون المصادفة المشار اليه ، بحيث نصل مع هؤلاء الذين يصرون على القول بالمصادفة الى أحد أمرين لا ثالث لهما: **اما أن يدّعوا زورا وبهتانا عدم صحة قانون المصادفة ،** الذي أثبته العلم التجريبي ؛ وهذا ما لا يتيسر لهم ؛

واما ان يقروا بانه لا حظ للمصادفة في هذا الخلق الالهي العجيب ، الدقيق ، الحكيم ، الموزون ؛ وهـذا ما لا مفر لهم مـن الاقرار به ٠

لقد قلت في كتابي « النحلة تسبح الله » : « لو كان لدينا ستة عشر الفا من خلايا النحل ، في كل منها (ملكة عذراء) مهيأة للتلقيح ، فان ثمانية آلاف ملكة من أصل (١٦٠٠٠) ملكة تخرج للتلقيح ، في حين تمتنع ثمانية الآلاف الأخرى عن الخروج للتلقيح ٠٠ وان ٤٠٠٠ ملكة فقط من أصل الـ ٨٠٠٠ ملكة التي خرجت للتلقيح ، تحدث طنيناً يجتذب الذكور اليها ، وان ٢٠٠٠ منها فقط تطير بسرعة تسهل عملية التلقيح ٠٠٠ وان ١٠٠٠ منها فقط تحلق مسافات شاسعـة كافية لاختبار مقدرة الذكور ٠٠٠ وان ٥٠٠ منهـا فقط تفتح الصمام المغطي للمهبل في فتحاتها التناسلية ٠٠٠ وان ٢٥٠ منها تحتفظ بالحيوانات المنوية في الحويصل الخاص ٠٠٠ وان ١٢٥ منها تتقن عملية اخراج الحيوانات المنوية من القابلة الخاصة ٠٠٠ وان ٦٣ منها على أبعد الحدود تتقن اخراج الحيوانات المنوية بصورة

منتظمة وحسب اللزوم[1] ٠٠٠ وان ٣٢ منها تعمل على وضع البيوض ، فلا تمتنع عن ذلك ٠٠٠ وان ١٦ منها تضع البيوض في العيـون السداسية دون سواها من الأمكنة ٠٠٠ وان ٨ منها فقط تضعها في عيون نظيفة خالية من العسل أو حبوب اللقاح ٠٠٠ وان ٤ منها فقط تضعها في قاع العين السداسية ٠٠٠ وان اثنتين منها فقط تطليها بمادة لاصقة ٠٠٠ وان واحدة منها فقط تضعها بشكل عمودي ، على قاع العين السداسية ، صالح لمتابعة التطور ٠

أجل ٠٠٠ ملكة واحدة هي التي ستجيد وضع البيض بصورة تصلح لانتاج النحل ٠٠٠ وما عداها من الستة عشر ألف ملكة المجهزة بكل الامكانيات لا تصلح لذلك[2] !!!

---

(١) ان هذه العمليات الحسابية قد بنيت على أساس أن الاحتمال انما هو احتمال بسيط وليس احتمالا مركبا كما هو الأمر في كثير من هذه الحالات المفترضة ، ولذلك كان يقتضي أن يتناقص العدد أشد من ذلك بكثير ، حسب متوالية هندسية وليس متوالية حسابية ٠

(٢) هذا أقل عدد ممكن ، واذا أدخلنا في الحساب الاحتمالات المتعددة لكل حالة ، لوجب أن يتضاعف هذا الرقم أضعافا مضاعفة ، ولبلغ الرقم ١٦ مليونا ٠٠ ومعنى هذا أن احتمال وجود الملكة =

هذا اذا ما فرضنا أن الذكر جاهز للعمل ·· قد هيىء وأعد تماما لعملية التلقيح !!

أما اذا حسبنا فرصة الذكر للقيام بعملية التلقيح . فانها لن تكون أكثر من واحد على عشرة آلاف ··· وبالتالي فان فرصة وجود البيضة الملقحة انما هي في الحقيقة حاصل ضرب الرقمين ١/١٠٠٠٠ × ١/١٦٠٠٠ وهذا يساوي (واحد على ١٦٠ مليونا) ·

ومعنى ذلك أنه اذا كانت المصادفة وحدها هي التي تتحكم في وضع الملكة للبيض فانه لو كان لدينا ١٦٠ مليون خلية نحل ، في كل منها ملكة عذراء ، كاملة الخلق والتكوين ، ومزودة بكل الأجهزة اللازمة[١] ··· فان الذي يستطيع منها أن يضع بيضا على الشكل الصحيح السليم المنتج هو ملكة واحدة فقط ···

= التيَ تجيد وضع البيض بصورة صحيحة سليمة انما هو في الحقيقة واحد على ١٦ مليونا ·

(١) يحسن بك أن تنتبه الى أننا افترضنا أن الملكات جميعها كاملة الخلق والتكوين ومزودة بكل الأجهزة اللازمة ··· ولو تتبعنا احتمال وجود هذه الملكات على هذه الصورة من الكمال . وما يتبع ذلك من حالات لبلغ احتمال وجود خلية النحل المنتجة ليس واحدا على ١٦٠ مليونا بل واحدا على مئات الوف الملايين ·

وأما بقية المئة والستين مليونا فانها ستعجز عن ذلك ··· فهي اما أن تضع ذكورا لا فائدة منها في حفظ النوع ، واما أن تضع بيضا على شكل غير صحيح ، يتلف قبل أن يصير نحلا !!

ولو عددنا خلايا النحل التي في الدنيا بأسرها ، فانه لن يبلغ عددها ١٦٠ مليونا ··· وبالتالي فان قانون الاحتمالات يؤكد لنا أن **المصادفة المحضة اذا تحكمت في انتاج الملكات للبيض فانه لن يكون على وجه البسيطة خلية نحل واحدة ، خلال أسابيع قليلة(١) !!**

ولكن الواقع يقول عكس ذلك ··· فالنحل موجود ··· والخلايا في ازدياد مطرد ··· والملكات كلها تضع البيوض على الشكل النظامي المنتج !!

اذن فأين يكمن الخطأ ؟؟

---

(١) اذ يقضى على الخلايا كلها ـ ما عدا واحدة منها ـ لعدم انتاجها للنحل الشغال الذي يحل محل الشغالات التي تموت كلها خلال بضعة أسابيع كما هي العادة ··· وبالتالي لن تكون فرصة استمرار هذه الخلية الوحيدة أفضل من فرص مئات الملايين غيرها ··· وستصل الى نهايتها المحتومة ونهاية تاريخ وجود النحل خلال أسابيع أخرى قليلة ·

هل هو في علم الاحتمالات المعتمد على التجربة والحقائق الثابتة ؟؟

أم ان الخطأ في كلمة يلقيها الانسان جزافا (المصادفة ••• المصادفة هي التي تتحكم في كل شيء ••• المصادفة هي التي تتحكم في انتاج النحلة الملكة للبيض) ؟؟!

ما من انسان بصير عاقل تصل به المكابرة الى أن يصر بعد هذا على أن المصادفة هي العامل المتحكم في عملية انتاج الملكة للبيض •

بل ان الانسان لا يسعه ، بعد هذه الحقائق ، الا أن يقر ويعترف بأن هناك يدا خبيرة ••• علمت النحل •• وسددت خطاه •••

ولا يسع الانسان العاقل الا أن يقول :

سبحانك ربي ••• ما أعظم شأنك ! وما أجل قدرتك !

سبحانك ربي ••• ما أدق صنعك(١) •

---

(١) كتابنا « النحلة تسبح الله » من الصفحة ٣٦ الى الصفحة ٣٩ •

يقول الدكتور « جورج ايرل دافيز » — عالم الطبيعة ورئيس قسم البحوث الذريــة في البحرية الأمريكية — : « لقد أتيــح لي ، بفضل اشتغالي بدراسة الطبيعة ، أن أدرس التركيب المعقد — الى درجة لا يتصورها العقل — لبعض مكونات هذا الكون الذي لا تقل فيه روعة التذبذبات الداخلية لأصغر ذراته وما دون ذراته ، عن النشاط المذهــل لأكبر النجوم السابحة في أفلاكها ، والذي يسير فيه كل شعاع من الضوء ، وكل تفاعل كيميوي أو طبيعي ، وكل خاصية من خواص كل كائن حي ، وفق قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ••• تلك هي الصورة التي تقدمها لنا العلوم ، والتي كلما تأملها الانسان ، اكتشف من بالغ دقتها وروائع جمالها ، ما لم يكن قد اكتشفه من قبل »[1] •

حقا ان كل شيء في الوجود يدل على هذا العقل الكلي الشامل المدبر •• الذي يتصرف بكل شيء •• ويلهمه ما يسدد خطاه ••• من قوانين فيزيائيــة وكيميوية وطبيعية وغريزة فطرية •

---

(١) من مقال : « الكشوف العلمية تثبت وجود الله » ـ عن كتاب « الله يتجلى في عصر العلم » ص ٤٢ •

قال تعالى : « **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** »[1] .

صدق الله العظيم ... ان كل شيء في الوجود ، بجماداته ونباتاته وحيواناته ، يدلنا – عن طريق العلم والحقيقة – على وجود الله .

ان غرور الانسان وتقصيره في ميدان العلم يدعوانه الى أن يكابر ويغاير الحقيقة !!

(١) « سورة الحج » : الآية ٤٦ .

الإيمان والعقل

لئن كان كثير من بني البشر يتوهمون أن الدين يتطلب من الانسان أن يدع عقله جانبا ويؤمن بما يقدم اليه من تعاليم دينية ، فان الاسلام قد أقيم بنيانه على أساس من العقل متين ، فلا يكاد يلحظ الانسان في هذا الشرع الحنيف أمرا من أوامره ، أو نهياً من نواهيه ، أو أية عقيدة من عقائده ، تتعارض مع العقل الحصيف ••• بل ان التأمل العقلي العميق في بنيان الاسلام يدعو الانسان الى الاعجاب بهذا النظام الشامل الدقيق ، هذا النظام السماوي الذي يضمن سعادة الانسان في الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى في آن واحد •

ولذلك فليس من المستغرب أن نجد القرآن الكريم

يدعو الناس الى الايمان من نافذة العقـل ، نافذة التفكير السديد السليم • قال تعالى : « وفي خلقكم وما يبث فيه من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون »(١) • وقال جل وعلا: « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون »(٢) •

ويفصل القرآن الكريم الآيات والدلائل الواضحة ليستفيد منها أصحاب العقول الراجحة ، قال تعالى في سورة « الروم » : « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون • بل اتبع الذيـن ظلموا أهواءهم بغير علم »(٣) • وقال جل شأنه في سورة « البقرة » : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون »(٤) • وقال عز من قائل في سورة « النور » : « كذلك يبين الله

---

(١) « سورة الجاثية » : الآية ٤ •

(٢) « سورة يوسف » : الآية ١٠٩ •

(٣) الآية ٢٨ ، ٢٩ •

(٤) الآية ٢٤٢ •

لكم الآيات لعلكم تعقلون »(١) . وقال جل وعلا ، في سوره « آل عمران » : « قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون »(٢)

وليس من المستغرب بعد ذلك ، أن نجد القرآن الكريم ينحي باللائمة على أولئك الجاحدين المنكرين، الذين اتخذوا تقليد الأقدمين مبدأ وغاية ، فلم يستعملوا عقولهم على الوجه الصحيح ؛ اذ أنهم لو ناقشوا الامر مناقشة منطقية سديدة لوصلوا الى شاطىء الايمان لا محالة . قال تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »(٣) ؟!

بل ان الأصم الأبكم الاعمى الذي لا يستعمل عقله انما هو صورة للكافر في نظر الاسلام ... قال تعالى : « مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم

---

(١) الآية ٦١ .

(٢) الآية ١١٨ .

(٣) « سورة البقرة » : الآية ١٧٠ .

لا يعقلون »(١) • وقال جل شأنه : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »(٢) •

ومن أعماق جهنم يصرخ هؤلاء المغفلون مستغيثين، وقد عرفوا أن السبب فيما وصلوا اليه من سوء المنقلب والعياذ بالله ، هو أنهم لم يكونوا يسمعون أو يعقلون ، لم يكونوا يسمعون أمر الله سماع العمل والانقياد ، ولم يكونوا يعقلون ويتدبرون الحقيقة صافية لا شائبة فيها ••• قال تعالى : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »(٣) •

ان هذه الآيات العديدة ، وغيرها من الآيات التي لا تحصى ، والتي تدعو الانسان الى استعمال عقله ، لأكبر دليل على أن الايمان في نظر الاسلام ليس تسليما أعمى ، بل انه تسليم كامل بعد اقتناع العقل السليم؛ انه تصديق وجداني يشحذ القناعة الشخصية ويصقلها ؛ انه معين لا ينضب ، يملأ قلب المحب

---

(١) « سورة البقرة » : الآية ١٧١ •

(٢) « سورة الأنفال » : الآية ٢٢ •

(٣) « سورة الملك » : الآية ١٠ •

الصافي ، فيُمد قنديل الفكر السليم بزيت الحقيقة المطلقة .

. . .

هذا ، وقد بلغ توافق الدين الحنيف مع العقل السليم حدا صار فيه أصحاب العقول الراجحة هم المقدمين في نظر الشرع ؛ فقد جعلهم النبي الكريم (ص) في مكانة سامية مرموقة بين أفراد المجتمع ... بل ان هذه المكانة المرموقة قد توافرت لهم في أمور العبادات ، حيث جعل الترتيب وراء النبي (ص) بحسب عقولهم . قال رسول الله (ص) :

(ليلني(١) منكم أولو الأحلام والنهى(٢) ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)(٣) .

فهل بعد هذا الكلام النبوي الشريف ، مبحث لمستزيد في اعطاء العقل السليم الراجح مكانته التي تليق به ؟!

---

(١) ليلني : من فعل ولي . ومعناها : ليتبعني وليكن ورائي قريبا مني .

(٢) الأحلام والنهى : ذوو الألباب والعقول .

(٣) رواه الامام « مسلم » .

وهل بعد هذا الموقف الاسلامي الحنيف ، ملحظ لمفكر في اقامة بنيان على أساس من العقل متين ؟!

فما أحرانا أن نستعمل عقولنا الاستعمال الصحيح السليم ، باحثين عن الحقيقة ، متأملين في الوقائع الصارخة !!

وما أحرانا – بعد ذلك – أن نفتح أعماق قلوبنا لتنهل من معين ماء الحقيقة ؛ فان الفكر الصحيح وحده لا يروي من ظمأ ، ما لم يكن ممزوجا بتيار الايمان الذي يستمد قوته من نبع الحقيقة الفياض !!

★ ★ ★

معنى الايمان

حتى نستطيع أن ندرك معنى الايمان لا بد أولا من شرح معنى الاسلام في اللغة والشرع ٠

فالاسلام في اللغة هو التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد ، وترك التمرد والاباء والعناد ٠

وفي الشرع هو **الانقياد لأوامر الله تعالى التي أنزلها على نبيه الكريم سيدنا محمد** (ص) ، الأمر الذي يتجلى واضحا في : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا(١) ٠

---

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال :

بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان٠
رواه البخاري ومسلم

أما الايمان ، فهو في اللغة: التصديق • وللتصديق محل خاص وهو القلب ، أما اللسان فهو ترجمان ، كما يقول الامام الغزالي •

وفي الشرع : الايمان (التصديق القلبي) بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره •

وعلى الرغم من أن الايمان يستعمل في كثير من الأحيان بمعنى الاسلام ، لوجود تداخل بين المعنيين من وجهة نظر الشرع الاسلامي ، فان هناك تمايزا ملحوظا بينهما ، يدركه الانسان اذا ما أمعن النظر فيهما ••• فاذا ما كان الاسلام حكماً على ظاهر الأعمال والاقوال من حيث الانقياد لأوامر الله تعالى ، وذلك بالاتيان بأركان الاسلام الخمسة ، فان الايمان حكم على بواطن الأعمال ، من حيث المشاعر القلبية الوجدانية ، الموافقة لما دعا الشارع الى الايمان به قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(الاسلام علانية والايمان في القلب ، التقوى في القلب ؛ وأشار بيده الى صدره)(١) •

---

(١) رواه : « أحمد » و « النسائي » و « عبد الرزاق » في « الجامع » عن « أنس » ــ وصحح •

ومهما يكن من أمر ، فان الانقياد لأوامر الاسلام في الظاهر لا يُقبل عند الله اذا كان مخالفا للاعتقاد القلبي (لأنه نفاق) • ولا بد من أن يكون التصديق القلبي موافقا للأعمال • وبهذا يبدو لنا أن الاسلام أعم والايمان أخص ، الأمر الذي عبر عنه الامام الغزالي بقوله : (الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام ، فاذن كل تصديق تسليم ، وليس كل تسليم تصديقا »(١) •

أتى بعض الأعراب الى رسول الله (ص) واعتنقوا الاسلام ، وانقادوا لأوامره في شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، والحج ، وصوم رمضان ؛ ثم قالوا : اننا مؤمنون •

فنزل قرآن يتلى الى يوم القيامة ينفي الايمان عنهم ، ويدعوهم الى الاكتفاء باطلاق اسم الاسلام على أنفسهم دون الايمان ، فالايمان مرتبة أعلى ، يتجاوز ظواهر الأعمال الى بواطن القلوب :

قال تعالى :

---

(١) الاحياء : الجزء الأول ، الصفحة ١٢١ •

« قالت الأعراب آمنا

« قل : لم تؤمنوا

« ولكن قولوا أسلمنا

« ولما يدخل الايمان في قلوبكم •

« وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا ، ان الله غفور رحيم » (١) •

أجل ، لا يجوز الادعاء بالايمان الا عندما يدخل الايمان الى القلوب ، أما عندما يكون هناك انقياد بالأعمال الظاهرة فهو الاسلام •

وعلى الرغم من أن هؤلاء الأعراب المسلمين كانوا سائرين في درب الايمان ، ويتوقع لهم أن يصلوا الى مرتبة الايمان(٢) ، فان المولى سبحانه لم يقبل منهم ادعاءهم الايمان •

---

(١) « سورة الحجرات » : الآية ١٤ •

(٢) يبدو لنا هذا واضحا من استعمال كلمة (لما) في قوله تعالى : « ولما يدخل الايمان في قلوبكم » لأن كلمة (لما) تستعمل للنفي في الزمن الماضي مع توقع الحدوث في المستقبل •

فالايمان شيء غال نفيس ، يسعى اليه المسلم ويسير في معارجه صعدا ٠

والايمـــان لا يطلـــق على المسلـــم – بالمعنـــى الاصطلاحي – الا بعد أن يدخل نوره الى القلب ٠ قال عليه الصلاة والسلام : (ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل)(١) ٠

والسر في ترتب الايمان على تنور القلب بنور الله هو أن القلب مركز صلاح الجسد كله أو فساده ، فاذا ما داخله شعاع النور الرباني تنقى من ظلمات الغفلة والمعاصي ، فصلح حاله ، فكان سببا في صلاح الجسد كله ٠ واذا ما افتقد القلب ذاك النور الرباني تغلغلت فيه ظلمات الغفلة والمعاصي ، ففسد حاله ، فكان سببا في فساد الجسد كله ٠ قال رسول الله (ص): (ألا وان في الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح الجسد كله ؛ واذا فسدت فســد الجسد كله ؛ ألا وهي القلب)(٢) ٠

---

(١) رواه « ابن النجار » و « الديلمي » في الفردوس ٠

(٢) رواه « ابن ماجه » ٠

وبالأيمان القلبي يتفاوت النــاس · قال عليه أفضل الصلاة والسلام : (لو وزن ايمان أبي بكر بايمان الناس لرجح ايمان أبي بكر)(١) ·

والأسبقية في هذا الصدد انما هي بما يستقر في القلب ، فقد قيــل : (ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة أو صيــام ، ولكن سبقكــم بشيء وقــر في صدره) ·

★ ★ ★

---

(١) رواه اسحاق بن راهويه ، والبيهقي في الشعب بسنــد صحيح عن عمر من قوله ·

وروى « الطبراني » و « أحمد » عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : (رأيت قبل الفجر ، كأني أعطيت المقاليد والموازين ، فاما المقاليد فهذه المفاتيح ، وأما الموازين فهي التي يوزن بها : فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة ، فوزنت بهم فرجحت : ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم فرجح : ثم جيء بعمر فوزن بهم فرجح : ثم جيء بعثمان فوزن بهم فرجح : ثم رفعت) ·

من صفات المؤمنين

الايمان جوهر نفيس ، يستقر في أعماق القلوب ، فينعكس أثره على المؤمن في صفات عديدة يتحلى بها ، وأهمها :

١ ــ القلب الذاكر :

فالقلب الذاكر هو حجر الزاوية في بناء الايمان ، وهو في الوقت نفسه أولى ثمرات الايمان وأهمها على الاطلاق ٠

والمؤمن هو الذي تعلق قلبه بالله ، فلا يغفل عن مولاه طرفة عين ؛ دائم الذكر لله في جميع أحواله ، فقد قال تعالى في وصف المؤمنين :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم »(١) .

وأنحى – جل وعلا – باللائمة على أولئك الذين قست قلوبهم فغفلت عن ذكر الله : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين »(٢) .

وأمر – جل وعلا – المؤمنين في أشد الساعات حرجا وخطرا – أن يقدحوا زناد ايمانهم بذكر الله ، فقال – جل من قائل - : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »(٣) . وكيف لا يؤمرون بذلك ، وهم في أشد الساعات حاجة الى ما يزيد اطمئنان قلوبهم بالله ؟! قال تعالى: « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »(٤) .

أجل كثرة ذكر الله ، والمداومة على مراقبة الله

---

(١) « سورة آل عمران » : الآية ١٩١ .

(٢) « سورة الزمر » : الآية ٢٢ .

(٣) « سورة الأنفال » : الآية ٤٥ .

(٤) « سورة الرعد » : الآية ٢٨ .

في كل حال ، من أهم سمات المؤمنين ، أما قلة ذكر الله فهي من سمات المنافقين • قال عز من قائل ، في وصف المنافقين : « ولا يذكرون الله الا قليلا »(١) •

هذا هو حال المنافقين • • • ليس أنهم لا يذكرون الله • • • بل انهم يذكرون الله ، ولكنهم لا يذكرونه – جل وعلا – الا قليلا •

أما المؤمنون ، فهم يداومون على ذكر الله في حضور ومراقبة • • • واذا ما وسوس لهم الشيطان أمرا فيه معصية لله ذكروا الله ، فخنس شيطانهم وابتعد •

وأنى لانسان ذاكر لله ، مراقب لعظمته – جل وعلا – أن يتجرأ على معصية ربه ؟! أما انه ما عصى من عصى ، وما تجرأ من تجرأ ، الا بسبب غفلة قلبه عن الله وابتعاد طائر الايمان الميمون عن قلبه الغافل !!

قال عليه الصلاة والسلام :

(لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق

---

(١) « سورة النساء » : الآية ١٤٢ •

السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)(١) .

ذلك أن ذكر الله جل وعلا عنصر أساسي في تكوين ايمان المؤمن ، فان غفل عن ذكر الله غاب الايمان ، وفُتح للشيطان سبيل ليتسلط على هذا الانسان ، فيسوقه الى دروب المعاصي ، والعياذ بالله ، من حيث لا يشعر .

ومن أجل ذلك حث الاسلام على ذكر الله تعالى ، حتى جعله علامة ودليلا على مغفرة الله ، جل وعلا ، لعبده الذاكر . قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(ما جلس قوم يذكرون الله تعالى ، فيقومون ، حتى يقال لهم : قوموا غفر الله لكم ذنوبكم ، وبدلت سيئاتكم حسنات)(٢) .

وفي رواية أنه قال (ص) :

(ما جلس قوم يذكرون الله تعالى الا ناداهم مناد

---

(١) رواه : البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه « الطبراني » و « البيهقي » عن سهيل بن الحنظلية .

من السماء : قوموا مغفورا لكم)(١) ·

وبالاضافة الى ذلك ، فان كثرة ذكر الله علامة على السلامة من النفاق ، قال عليه الصلاة والسلام : (من أكثر من ذكر الله فقد برىء من النفاق)(٢) ·

وكيف لا يكون ذلك ، وقد صقلت قلوبهم بذكر الله ؟

انه ما من شيء يفوق ذكر الله في النجاة من عذاب الله · قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(ان لكل شيء صقالة صاقل ، وان صقالة القلوب ذكر الله ، وما من شيء أنجى من عذاب الله ، ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع)(٣) ·

ألا لقد أفلح المؤمنون الذين غلب عليهم ذكر الله ، فعشقوا ربهم ··· أما انهم هم الأبطال حقا ··· أما انه لا يصرف عذاب الله عن أن يحل بأهل الأرض

---

(١) رواه « أحمد » و « أبو يعلى » و « الطبراني » في الأوسط و « سعيد بن منصور » و « الضياء » عن أنس ·

(٢) رواه « الطبراني » في الصغير عن أبي هريرة ·

(٣) رواه « البيهقي » في الشعب عن ابن عمر ·

الا وجود هؤلاء المؤمنين الذاكرين بين ظهراني الناس ... فقد ورد عن الحسن أن رسول الله (ص) قال : (يقول الله عز وجل : اذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته ولذته في ذكري ، فاذا جعلت بغيته ولذته في ذكري عشقني وعشقته ، فاذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه وصيَّرت ذلك تغالبا عليه ، لا يسهو اذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبطال حقا ، أولئك الذين اذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم)[1] .

ألا ما أجمل مجالس أولئك المؤمنين الذاكرين .. انها مجالس تحفها الملائكة بالرعاية والعناية !! انها مجالس تغشاها الرحمة من لدن رب العالمين . قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(ما اجتمع قوم على ذكر الله الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة)[2] .

ان أهل الجنة في جنانهم لا يتحسرون على شي

---

(١) « الحلية » عن الحسن مرسلا .

(٢) رواه « ابن النجار » .

الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها !! قال رسول الله (ص) :

(ليس يتحسر أهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها)(١) .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(ما من ساعة تمر بابن آدم ، لم يذكر الله فيها الا حسِر عليها يوم القيامة)(٢) .

٢ ـ الخشية :

الخشية من الله انما هي دليل معرفته جل وعلا . قال تعالى : « انما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ »(٣) . وقال عز من قائل : « واتقون يا أولي الألباب »(٤) .

والخشية الحقيقية انما تنبت في تربة القلوب

---

(١) رواه « الطبراني » في الكبير ، و « البيهقي » في الشعب ، عن معاذ .

(٢) « الحلية » و « البيهقي في الشعب » عن عائشة .

(٣) « سورة فاطر » : الآية ٢٨ .

(٤) « سورة البقرة » : الآية ١٩٧ .

المؤمنة التي روتها أمطار المراقبة والذكر لله · وحق لعبد تفتحت مغاليق قلبه على الله ، وانتعشت روحه بذكر الله ، أن يكون في حال من الخشية والخوف من الله بحيث لا يتجرأ على معصية !! انه قد وصل الى مرتبة من الايمان الشهودي بحيث يعلم علم اليقين أنه بين يدي بديع السماوات والأرض ، بين يدي من اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون ·

فالمؤمن يخاف من الله ويبكي من خشية الله ··· بل ان العين الباكية من خشية الله ، عين لا تمسها النار ، كما أخبر الرسول الكريم (ص) : (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)(١) ·

هذا ، والمؤمن أحق بالخوف من الله من غير المؤمن ، فهو ينظر باحدى عينيه الى عظمة الله وجبروته ، وينظر بالعين الأخرى الى عظيم فضل الله عليه ، فيمتزج لديه الخوف من العزيز الجبار بالاشفاق من أن يكون فضل الله ونعمه عليه ابتلاء

---

(١) رواه « الترمذي » ·

وامتحانا له ، فيفرق أشـد الفرق ، ويخاف أعظم الخوف من أن ينزل به عذاب عظيم !!

ومن أحرى بالخوف من الله من المؤمن الذي حيي قلبه بالله ؟! ان الطفل الصغير اذا رأى ثعبانا أقرع يفرح بنعومة ملمسه ، وان الميت لا ترتعد فرائصه لثعبان يلتف حول عنقه ؛ في حين أن الانسان العاقل يأخذ حذره عندما يرى الثعبان يزحف من بعيد ، وتمتلىء نفسه هلعاً عندما يرى الخطر محدقا به !!

غير أن الخوف من الله اذا كان علامة من علامات حياة القلب بالله ، وآية من آيات الايمان الحقيقي ، فانه لا يصح أن يسيطر على الانسان سيطرة كاملة بحيث ينقلب به هذا الخوف الى اليأس والقنوط . قال تعالى : « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون »(١) .

ولذلك فانه ليس هناك أجمل من أن يمتزج الخوف من الله بشيء من الرجاء والأمل ، رجاء

---

(١) « سورة الحجر » : الآية ٥٦ .

مغفرة الله ، وأمل العفو من لدن غفور رحيم « انه هو الغفور الرحيم »(١) • قال تعالى :

« واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثــم اهتدى »(٢) •

٣ ـ الحب لله ورسوله :

الحب شحنة عاطفية عميقة الأثر ، تدفع المحب الى مجابهة المصاعب واجتياز العقبات ، وبذل كل مافي الامكان في سبيل المحبوب •

وهذ ه الشحنة العاطفية (الحب) اذا ما أحسن توجيهها نحو تحقيق هدف سام في الحياة ، يكون لها أكبر الأثر في سمو صاحبها وحصوله على ما لا يتأتى له من دون هذه العاطفة •

وهل هناك أسمى من أن يتوجه المرء بحبه الخالص الى مولاه ؟؟ هل هناك أسمى من أن يتوجه المرء بمرآة قلبه الصافية الى خالقه فيقتبس من أنواره العلوية ، وتتفاعل نفسه مع الهداية السماوية ،

---

(١) « سورة يوسف » : الآية ٩٨ •

(٢)« سورة طه » : الآية ٨٢ •

فتتمثل رسالة السماء بأعمال يقوم بها المؤمن المحب على الأرض ، يهديه الى ذلك شريعة الاسلام الواضحة البينة ؟!

وهل هناك من هو أجدر من الحضرة الالهية بالحب القلبي الخالص ؟؟ ان الانسان اذا ما أنعم النظر في شيء مما أسبغ الله عز وجل علينا من نعم وآلاء ، في جسمنا ، وفي حياتنا ، وفي أرضنا ، وفي شمسنا ، وفي الكون جميعه . لا بد الا ان يتحرك لسانه بالشكر لمولاه . ولا بد الا أن ينبض جنانه بالحب للمنعم المتفضل الذي لا يمكن للمرء أن يحيط بآلائه جل وعــلا !!

ولئن كان الحب لله والفناء فيه سبحانه رشحة من رشحات الايمان ، فان من تمام الحب لله ، أن يكون المسلم محبا لرسوله حبا يتناسب مع حب الله للرسول المصطفى المختار ، حبا يتجاوب مع ما بذله الرسول الكريم من أجــل أن تصل هــذه الرسالــة السماوية الينا فننعم بما ضمنته لنا من سعادة .

قال رسول الله (ص) : (والله لا يكون أحدكم

مؤمنا حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده)(١) ٠

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه)(٢) ٠

هذا وان الايمان لا يصير ايمانا حقيقيا في النفس حتى يذوب من القلب حب الأهل والمال والولد ، ويصير الله ورسوله أحب الى الانسان من نفسه التي بين جنبيه ٠

٤ ـ المحبة للمؤمنين :

لقد فرض المولى سبحانه الأخوة بين المؤمنين فقال جل من قائل : « انما المؤمنون اخوة »(٣) ٠

ومن لوازم الأخوة بين المؤمنين المحبة والمودة ، والمعاملة الحسنة ، ولقيا الاخوان بوجه باش ؛ حتى ان هذا الأمر صار عملا صالحا يجزى العبد عليه خيرا عند الله ، فقال النبي (ص) : (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه

---

(١) « المستدرك » عن فاطمة بنت عتبة ٠

(٢) الامام « أحمد » في مسنده ، عن عبد الله بن هشام ٠

(٣) « سورة الحجرات » : الآية ١٠ ٠

طليق)[1] .

بل ان كمال الايمان رهين بأن يحب المرء للناس ما يحبه لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه ، قال عليه الصلاة والسلام :

(أفضل الايمان أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله عز وجل ، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك ، وأن تقول خيرا أو تصمت)[2] .

فما أجمل أن يكون المجتمع الاسلامي كله يدا واحدة !! يحب بعضهم بعضا ، لا يكنّ أحدهم للآخرين ضغينة ولا حقدا ، لا يؤذي بعضهم بعضا لا بلسانه ولا بيده ولا بنظراته ، ولا يغتاب أحدهم غيره ، يتعاونون — كما قال الامام الشهيد — فيما اتفقوا عليه، ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه .

ان هذا المجتمع — وايم الحق — للمجتمع الاسلامي السليم ، الذي دعت اليه شريعة الاسلام ، فقد قال رسول الله (ص) :

---

(١) رواه « مسلم » .

(٢) الطبراني في الكبير ، عن معاذ بن جبل .

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١) .

قال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »(٢) .

هذا هو شأن المؤمنين ... وهذا هو شأن المجتمع المؤمن ... وأما اذا كان الناس على خلاف ذلك من صفات . وأما اذا كان الناس على نقيض ذلك من صفات يهاجم بعضهم بعضا ، ويتربص كل منهم الدوائر بالآخرين ؛ فانه اقل ما يقال فيهم : **انهم قوم لم يصلوا الى حقيقة الايمان ؛ ولذلك فهم غير جديرين بنصر الله وتأييده ،** لان نصر الله وتأييده انما هما للمؤمنين ، للذين يتصفون بصفات الايمان ؛ وليس لمن يأتي بما يناقضها من أعمال ... قال تعالى : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »(٣) وقال جل من قائل : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا »(٤) .

---

(١) رواه الامام « أحمد » و « مسلم » عن النعمان بن بشير .
(٢) « سورة التوبة » : الآية ٧١ .
(٣) « سورة الروم » : الآية ٤٧ .
(٤) « سورة النساء » : الآية ١٤١ .

الإيمان
قول وعمل ونية

اذا كان الايمان بالله عز وجل الاعتقاد والتصديق بأنه خالق قادر عالم ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ... واذا كان الايمان الاعتقاد والتصديق بكل ما جاء وصفه تعالى به في القرآن الكريم ، وبكل ما جاءت به الأخبار الصحيحة على لسان الرسول المعصوم ... واذا كان الايمان تنزيهاً للمولى سبحانه عن الشبيه والمثل ، كما نزه نفسه جل جلاله بقوله : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »(١) ...

اذا كان الايمان الاعتقاد والتصديق

---

(١) « سورة الشورى » : الآية ١١ .

بذلك كله ، فان هذا الاعتقاد القلبي لا يكون اعتقادا سليما الا اذا وافقه القول اللفظي .. فليس من المنطق والعقل أن يخالف اللسان ما يعتقده الجنان ؛ اللهم الا في حالات محدودة ، كأن يكون المرء مكرها « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »(١) أو من عاجله الموت قبل أن يقر بلسانه وهو مؤمن بقلبه ويريد الاقرار بلسانه وليس عنده مانع نفسي منه . وفيما عدا ذلك من حالات لا بد من أن يكون اللسان ترجمانا لما استقر في الجنان .

وكذلك فان الاعتقاد القلبي السليم ، المعبَّر عنه تعبيرا صحيحا باللسان ، لا يكون ايمانا حقيقيا الا اذا كانت الافعال موافقة للاقوال ... قال تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين »(٢) .

وهل يقبل من انسان ادعاؤه الايمان في الوقت الذي تكون فيه أفعاله مناقضة لكلامه ، منافية لدعواه ؟!

---

(١) « سورة النحل » : الآية ١٠٦ .

(٢) « سورة البقرة » : الآية ٨ .

ان الاعتقاد بالله حق الاعتقاد يقتضي وقوفا عند محارم الله ، ويستدعي اقبالا على طاعة مولاه ، ويتطلب تمسكا بشريعة رب العباد ·

فاذا خالفت الأعمال الاقوال ، فعند ذلك يكون النفاق ، والعياذ بالله ؛ فقد سئل سيدنا حذيفة عن النفاق ما هو ؟ فقال : (الرجل يتكلم بالاسلام ولا يعمل به)(١) !!

هذا ، وان مزلق النفاق مزلق خطر ، لا يكاد الانسان يحوم حوله الا وتزل به القدم والعياذ بالله !!

ولقد أدرك سلفنا الصالح خطورة هذا المزلق الناعم ، فتجنبوه وابتعدوا عنه بكل ما أوتوا من قوة · وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يخشون على أنفسهم من أن ينزلقوا في مهاويه من غير أن يشعروا، حتى ان عمر بن الخطاب ، وهو من هو في الاسلام والقرب من النبي ، كان يخشى على نفسه أن يكون رسول الله (ص) قد عده بين المنافقين ··· وكان

---

(١) رواه « ابن جرير » ·

تخوفه هذا يقلق باله كثيرا ، ولا سبيل الى معرفة الحقيقة ليطمئن قلبه ؛ ذلك أن أسماء المنافقين كانت سرا استودعه رسول الله (ص) قلب حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه . فكان (ص) يأتمن حذيفة على أسماء المنافقين ...

وما ان اعتلى عمر بن الخطاب سدة الخلافة وصار أمير المؤمنين ، حتى راودته نفسه أن يسأل حذيفة عما اذا كان رسول الله (ص) عدّه بين المنافقين ، غير أنه علم أن حذيفة أحرص من أن يفشي سرا ائتمنه عليه رسول الله ، ولذلك راح يضع حذيفة أمام موقف حرج . فسأله قائلا : (أنشدك الله أمن القوم أنا ؟)(١) .

ولما أخرج حذيفة لم يجد بدا من الجواب ، فقال : (اللهم لا ، ولن أبرىء أحدا بعدك)(١) .

وانصرف عمر ، وحذيفة يرى دمـوع الفرحة تغرورق في عينيه !!

رحم الله عمر بن الخطاب !! لم يكفه قول الرسول

---

(١) رواه « ابن عساكر » .

(ص) فيه : (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم)[1] ... بل انه كان يخشى على نفسه من أن يقع في النفاق من غير أن يشعر !!

ذلك أن النفاق داء وبيل ، سرعان ما يقع فيه المرء وهو لا يشعر .

أما الايمان فانه لا يكفي فيه الاعتقاد ، ولا يكفي فيه الادعاء بالاقوال بل لا بد من العمل ، ولذلك اشتهر عن السلف الصالح **أن الايمان قول وعمل ونية** ، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الايمان .

وقد حكى الشافعي رحمه الله تعالى اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك .

وقال الامام الاوزاعي : وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والايمان .

ولقد ورد في ذلك أحاديث عديدة ، من طرق متعددة ، يقوي بعضها بعضا ، فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

---

(١) رواه « البخاري » في فضائل الصحابة .

(الايمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالآركان)[1] ·

(الايمان بالله : الاقرار باللســـان ، وتصديق بالقلب ، وعمل بالأركان)[2] ·

(الايمان والعمل أخوان شريكان في قرن ، لا يقبل الله تعالى أحدهما الا بصاحبه)[3] ·

(ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ، ويكون لسانه مع قلبه سواء ، ولا يخالف قوله عمله ، ويأمن جاره بوائقه)[4] ·

بل ان النبي الكريم (ص) جعل الانشراح للأعمال الصالحة علامة على ايمان المؤمن ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام :

---

(١) « الطبراني » في « الأوسط » عن علي ·

(٢) « الشيرازي » في « الألقاب » عن عائشة ·

(٣) « الديلمي » عن علي ، و « ابن شاهين » في « السنة » عن علي ·

(٤) « ابن بلال » في « مكارم الأخلاق » ·

(اذا سرتك حسنتك ، وساءتـك سيئتك فأنت مؤمن)(١) •

وفي رواية عنه (ص) أنه قال :

(من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن)(٢) •

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(أعظم الناس هما المؤمن ، يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته)(٣) •

(أفضل المؤمنين أحسنهم خلقا)(٤) •

(ان المؤمن ينضي – يهزل – شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر)(٥) •

---

(١) رواه : « ابن حبان » في « صحيحه » و « أحمـد » و « الطبراني » و « البيهقي » و « الحاكم » في « المستدرك »

(٢) رواه « الطبراني » و « الحاكم » في « المستدرك » عن ابي امامة •

(٣) رواه « ابن ماجه » عن « أنس » •

(٤) رواه « البيهقي » و « الحاكم » في « المستدرك » عن ابن عمر •

(٥) رواه الامام « أحمد » و « ابن أبي الدنيا » في مكايد الشيطان ، عن أبي هريرة •

بل ان القرآن الكريم ربط بين الايمان والعمل الصالح في العديد من الآيات . الأمر الذي ان دل على شيء فانه يدل على أن العمل الصالح لا بد منه حتى ينجو المرء بين يدي ربه ، فقال جل وعلا :

« ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(١) .

« فمن أمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٢) .

« ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ، تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم »(٣) .

« ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها

---

(١) « سورة البقرة » : الآية ٢٧٧ .

(٢) « سورة الأنعام » : الآية ٤٨ .

(٣) « سورة يونس » : الآية ٩ .

خالدون »(١) ٠

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »(٢) ٠

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا »(٣) ٠

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا »(٤) ٠

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم »(٥) ٠

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون »(٦) ٠

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم

---

(١) « سورة هود » : الآية ٢٣ ٠

(٢) « سورة الكهف » : الآية ٣٠ ٠

(٣) « سورة الكهف » : الآية ١٠٨ ٠

(٤) « سورة مريم » : الآية ٩٦ ٠

(٥) « سورة لقمان » : الآية ٨ ٠

(٦) « سورة فصلت » : الآية ٨ ٠

جنــات تجري من تحتها الأنهــار ، ذلــك الفوز الكبير »(١) •

« ان الذين أمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية »(٢) •

«والذين أمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون »(٣) •

• • •

ومهما يكن من أمر ، فاننا نرى أن الايمان انما هو نــور الهي يستقر في القلب ، فتنشرح لــه النفس : يظهر اثره على اللسان بما يتناسب مع هــذه العقيدة ، بأقوال أتت بها الشريعة الغراء ؛ كما يظهر اثره على الجوارح والأركان ، بأعمال توافــق مقتضى الشرع ، فينقاد المؤمن الى حيث أمر الله ، من غير أن يجد أي تهاون أو تراخ في التنفيذ ، ويمتنع عن محارم الله ، من غير تردد •

---

(١) « سورة البروج » : الآية ١١ •

(٢) « سورة البينة » : الآية ٧ •

(٣) « سورة البقرة » : الآية ٨٢ •

فالايمان بهذا المعنى هو صياغـة الانسان ذي العقل الناضج، والفكر الثاقب، والعزيمةالفولاذية، والارادة الصلبة التي لا تردد فيها ؛ صياغة الانسان الشجاع الذي لا ينهزم أمام المـوت ، بل ان الموت لينهزم أمامه(١) ٠

والايمان نور الهي يسري في الروح كما يسري الدم في الجسد ، روح تدخل في النفس ، فتملك على الانسان ارادته ٠ ولكن تملك الارادة هـذا ليس معناه أن يبقى الانسان بلا ارادة ، بل ان ارادته كانت قبل أن يداخلها الايمان ملكاً لأهوائه وشهواته، وخادمة للذائذه بما يمـلأ البطن ويحقق شهوات الفرج ، كانت مملوكة للهو والمطامع الدنيئة ٠٠٠ وما ان يداخلها الايمان حتى يحرر هذه الارادة من هذه الأمور الدنيا ، ليجعلها بيـد من بيده ملكوت السماوات والأرض ، تتوجه بأمر الله ، تطيع الله ، مصدر توجيهها قدس الأقداس ، مفتاح توجيهها بيد مصدر العزة والحكمة والرحمة والعدل والحنان(١) ٠

---

(١) من محاضرات سماحة المفتي العام الدكتور الشيخ أحمد كفتارو في مسجد تنكز ٠

فما أعظم هـذا الانتقال من مرحلة العبوديـة الدنيئة الى عبودية تحمل معنى السمو والرفعة وتهب الحرية الحقيقية والارادة السليمة !!

وما أجمل أن ينتقل المؤمن من الذل الى العز ، ومن سفاسف الأمور الى عظائمها !!

وليس هناك من زاد يهب الانسان هذا السمو الحقيقي سوى الايمان ، الايمان الحقيقي ، وليس ايمان المنافقين ...

انه ايمان الذين « تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا »(١) .

انه ايمان الذين « كانوا قليلا من الليل مايهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون »(٢) .

★ ★ ★

---

(١) « سورة السجدة » : الآية ١٦ .

(٢) « سورة الذاريات » : الآية ١٨ .

هل ينمو الايمان ؟

الايمان من حيث هو التصديق الراسخ بكل جزء من أجزاء العقيـدة الثابتة بيقين لا يقبل التجزئة ، فلا يقبل من المرء أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض .. وقد أشار القرآن الكريم الى كفر اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، فقال جل شأنه : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون »(١) .

غير أن هذا التصديق الراسخ الذي يعم أجزاء

---

(١) « سورة البقرة » : الآية ٨٥

العقيدة كلها يقبل النمو والزيادة ، كما يقبل الضمور والنقصان ··· تزيده الطاعات ، وتنقصه المعاصي ··· قال تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون »(١) · وقال جل من قائل : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم »(٢) ·

ولذلك فان ايمان الناس يتفاوت في درجة التصديق ، على الرغم من أن المصدَّق به واحد لا يختلف ولا يقبل التجزئة ·

ولذلك أيضا يصح أن نقول : ان للايمان درجات متفاوتة ، يرتقي فيها المسلم ، كلما ازداد ذكرا لله ومراقبة له جل جلاله ، حتى يصل الى مرتبة عليا هي مرتبة الاحسان التي قال عنها النبي (ص) :

(الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن

---

(١) « سورة المؤمنون » : الآية ٢ ·

(٢) « سورة الفتح » : الآية ٤ ·

تراه فانه يراك »(١) ٠

حقا ٠٠٠ انها مرتبة من الايمان عالية ، أن يعيش المرء مع الله ٠٠٠ أن يتفتح قلبه بنور الله ، فيشعر كأنه بين يدي الله !!

قال عليه أفضل الصلاة والسلام : (أفضل الايمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت)(٢) ٠

ما أروع ذاك الايمان الحقيقي الذي يصير فيه المؤمن كأنه ينظر الى عرش ربه بارزا ، فلا يغفل عن الله طرفة عين !!

ما أروع ذاك الايمان الحقيقي الذي يصبح فيه المؤمن وكأنه يرى أهل الجنة في جناتهم يتنعمون ويتزاورون ، وكأنه يرى أهل النار في جهنم يعتصرون ألماً وأسى وحسرة !! ان مثل هذا المؤمن قد وصل الى قمة من قمم الايمان الشامخة ، ما على

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » والامام « مسلم » في باب الايمان وغيرهما ٠

(٢) رواه « الطبراني » وأبو نعيم في « الحلية » عن عبادة بن الصامت ٠

صاحبها الا أن يحافظ عليها ويلزمها ، فقد تنور قلبه ، وتفتحت بصيرته !!

مر رسول الله (ص) بالحارث بن مالك الأنصاري فقال له :

كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا • قال : انظر ما تقول ، فان لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر الى أهـل الجنة يتزاورون ، وكأني أنظرِ الى أهل النار يتضاغون فيها • فقال : يا حارث ، عرفت فالزم ثلاثا(١) •

وفي رواية أن رسول الله (ص) قال له : عرفت فالزم ، عبد نوّر الله قلبه •

★ ★ ★

---

(١) نقلا عن تفسير ابن كثير •

أثر الإيمان بالله تعالى

في المجتمع

ان كل متفحص ينعم النظر في الايمان يجد أن الايمان لا يكاد يخامر شغاف القلوب حتى يغير ملامح شخصية صاحبه ، ويسمو بهـا الى العلياء ، لتسير صعدا في طريق الكمال .

وان نظرة في التغيير الجذري الذي يطرأ على النفوس بسبب الايمان ، تكفي لأن تقنع صاحبها بأن الايمان يصنع العجائب ، ويبدل الطبائع .

فالخنساء مثلا ، بعد أن كانت لا تجلس في مجلس الا وتبكي وتُبكي جميع من فيه حزنا على أخيهـا صخر ... الخنساء التي لبست صدارا أسـود ، حزنا على أخيها ، وأقسمت ألا تخلعه ما عاشت ... الخنساء التي خدد الدمـع خديها لكثرة ما ذرفت

من دموع الأسى والحسرة ، حتى انها كادت تبكي دماً بدلا من الدموع ··· الخنساء هــذه الباكية المبكية ، في الجاهلية ، على فراق أخ لها ، نراها يوم القادسية لا تكاد تلوح في الجو بوادر المعركة الحاسمة الا وتجمع فلذات كبدها ، أبناءها الأربعة ، وتطلب اليهم ألا يعودوا الا باحــدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ··· وتنتهي المعركة ، ويأتيها نبأ استشهاد أبنائها الأربعة جميعا في ساعة واحدة ، فلا يكون منها الا أن تخر ساجدة شكرا لله ، ثم لاتتزيد على أن تقول : الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم ، وأرجو منه أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ·

أجل ··· انه لموقف رهيب ، تقف فيه المرأة الضعيفة الباكية موقف البطل الصنديد !!

ما أبعد ما بين الموقفــين !! موقف الخنساء في الجاهلية ، وموقف الخنساء في الاسلام ···

وان المرء لايكاد يصدق أن هذين الموقفين للخنساء ذاتها ، لشدة ما بينهما من تباين وتناقض ··· غير أن الانسان اذا ما لاحظ أن الخنساء الأولى هي خنساء الجاهلية ، والخنساء الثانية هي خنساء الاسلام ،

وأن الخنساء في الاسلام قــد اكتسبت (آكسيرا) عجيبا ، تدفق الى أعماقها ، فتسلل الى كل ذرة من ذرات وجودها ، والى كل جزيء من جزيئات كيانها ، فقلب ما انفطرت عليه من هلع وفزع ، ليحل محله صمود ايمــاني عجيب ، لا يتزعزع ولا يتردد ، صمود مبني على أساس متين من الايمان بالله العلي القدير !!

ذلك أن الايمان يبني الفرد المسلم الكامل ، ويعطيه القدرة على التحكم بنفسه في جميع أموره ، فيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين الآخرين ؛ فاذا هو يقف عند الحدود التي رسمتها الشريعــة المطهرة ، لا يتجرأ على تخطيها ...

أما المعرفة وحدها من دون ايمان ، فانها لا تغني صاحبها شيئا ...

وكم من أناس عرفوا الحلال والحرام ، احتالوا لأكل الحرام والابتعاد عن الحلال !!

ولا يمكن للمعرفة أن تفيد صاحبها الا اذا اقترنت بجوهر الايمان الذي يولد في النفس القوة الدافعة للاقبال على الحلال والفرار من الحرام .

ولقد شبه بعضهم الاسلام بسيارة جميلة مريحة ، توصل صاحبها الى غرضه المطلوب ، وتيسر له سبل السعادة ٠٠ واعتبروا معرفة الحدود الشرعية بمثابة هيكل هذه السيارة ، في حين أن الايمان هو بمثابة جهاز القوة المحركة الدافعة (الموتور) ٠٠٠ وكما أن هيكل السيارة الجميل لا يغني شيئا ولا يوصل الى المطلوب من دون الجهاز المحرك ، كذلك فان المسلم لا يستطيع الوقوف عند محارم الله ، ولا يستطيع الاقبال على طاعة الله اقبالا حقيقيا كاملا الا بالايمان ٠

لقد عمل الايمان على بناء الفرد المسلم الكامل ، المزود بالقوة الدافعة للتحكم بأعماله ، وفقا لشريعة الاسلام ، الأمر الذي كان له تأثير فعال في المجتمع عندما انتشر الايمان بين الأفراد ٠٠٠ ذلك أن الايمان يخفف عن المجتمع مراقبة افراده ومحاسبتهم على ما يقومون به من اعمال ٠ اذ أن كل فرد مؤمن في هذا المجتمع يقيم من نفسه رقيبا على نفسه ومحاسبا لها على كل صغيرة أو كبيرة ، شعاره في ذلك ما أثر عن عمر بن الخطاب حين قال : (زنوا أنفسكم

قبل أن توزنوا . وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ، فانه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم . وتزينوا للعرض الاكبر)[1] . « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية »[2] .

والايمان في هذا الصدد لا يرتضي من أي فرد من أفراد المجتمع أن يقف عند حده المرسوم ، فلا يتجاوزه بالاعتداء على حقوق الآخرين ، ويحاسب نفسه اذا ما اعتدت على حقوق غيره : بل ان الايمان يشفي النفس من داء الطمع بحقوق الآخرين ،ذلك الداء الوبيل الذي فطرت عليه النفوس الانسانية التي لم تعرف الايمان . أما النفوس المؤمنة فانها نفوس قد استؤصل منها ذاك الداء العضال . فصارت نفوسا عفيفة عن المطامع والمحارم . قال عليه الصلاة والسلام :

(الايمان عفيف عن المحارم ، عفيف عن المطامع)[3] .

---

(١) أخرجه ابو نعيم في « الحلية » : ١/٥٢ .

(٢) « سورة الحاقة » : الآية ١٨ .

(٣) « حلية الأولياء » عن محمد بن النضر الحارثي مرسلا .

وتبقى في المجتمع قلة قليلة لا يصل الايمان الى أعماق قلبها ، فلا تقوى على المراقبة والمحاسبة ··· وهذه الفئة القليلة اما أن تخجل من نفسها فتقف عند حدها وتلتزم ما يلتزم به المجتمع من مبادىء سامية ، واما أن تخاف من مراقبة المجتمع والدولة التي تأخذ على يد من ينتهك الحرمات ، فتقف عند الحدود المرسومة ، ويغدو المجتمع كله مجتمعا مثاليا ، لا يستطيع أي مبدأ من المبادىء الوضعية أن يجاريه مهما بلغ من القوة والتنظيم الدقيق ·

ويكفينا أن نذكر مثلا على ذلك عمر بن الخطاب عندما ولاه أبو بكر الصديق القضاء على المدينة المنورة ، أكبر حاضرة في الجزيرة العربية ··· لقد عاد عمر الى أبي بكر بعد سنتين من توليه القضاء ، وطلب منه أن يعفيه من هذه المهمة ، فعاتبه أبو بكر قائلا : أمن مشقة القضاء تفر يا بن الخطاب ؟ فأجابه عمر قائلا : لا ، ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين عرف كل منهم حده فوقف عنده ··· لقد جلس عمر في المسجد الجامع يتصدر للقضاء عامين كاملين فلم يأت اليه متخاصمان !!

هذا ولا يكتفي الايمان بأن يقدم للمجتمع الفرد الذي يقف عند حده ، ويقبل بحقه فلا يعتدي على حق غيره ؛ بل ان الايمان يذهب الى أبعد من ذلك فيوجد في نفس كل فرد من افراده الدافع الى فعل الخير ... يوجد الدافع لكي يتنازل كل فرد في المجتمع عن بعض حقوقه ، ليقدمها للآخرين من غير أن ينتظر مثوبة أو تقديرا من الناس ؛ بل كثيرا ما نراه يسعى الى فعل الخير في السر حتى لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه .

بل ان الايمان ، اذا ما بلغ شأوا بعيدا في نفس الانسان ، لا يكتفي من صاحبه بأن ينفق عن سعة ، وأن يجود مما يفيض عن حاجته؛ بل ان الايمان الحقيقي يدفع صاحبه الى ان يجود بما هو بامس الحاجة اليه ، وان يؤثر على نفسه اخوانه من افراد المجتمع ، على الرغم مما به من شدة الحاجة الى هذا الشيء المبذول .. قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »(١) .

ومن الطبيعي بعد ذلك أن تجد المجتمع المسلم المؤمن مجتمعا متماسكا متعاونا ، تفيض بين جوانبه روح الألفة والمحبة ، وتشع بين ارجائه روح الاخوة ، روح الاخوة الحقيقية التي فرضها

---

(١) « سورة الحشر » : الآية ٩ .

الاسلام بين المؤمنين ، فقال جل وعلا : « انما المؤمنون اخوة »(١) ٠

ومن الطبيعي ايضا ان نجد ان الاسلام يمحو من المجتمع الروح الطبقية الجاهلية وتحكم الاغنياء بالفقراء ؛ ذلك ان الغني قد صار يرى أخاه الفقير واحدا من عيال الله ٠ وأن الصدقة التي يتصدق بها ليست منة ولا تكرما منه على أخيه ؛ بل انها صدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد الفقير ٠٠٠

قال رسول الله (ص) : (ما تصدق أحد بصدقة من طيب – ولا يقبل الله الا الطيب – الا أخذها الرحمان بيمينه وان كانت تمرة ، فتربو(٢) في كف الرحمان حتى تكون أعظم من الجمل كما يربي أحدكم فلوه(٣) أو فصيله)(٤) ٠

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (الخلق كلهم

---

(١) « سورة الحجرات » : الآية ١٠ ٠

(٢) تربو : تنمو وتزيد ٠

(٣) الفلو : المهر ــ الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن ارضاع أمه ٠

(٤) رواه الامام « مسلم » ٠

عيال الله ، فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله)[1] ٠

وهل يمكن أن يتعالى غني على فقير في مجتمع مؤمن ؟ والرسول الكريم يقول : (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء)[2] ٠

وهل يمكن أن توجد في مجتمع روح من الألفة والمحبة أسمى من أن ينظر الغني الى الفقير بأنه من عيال الله ، وأن مساعدة الغني للفقير تقربه من أسمى أهدافه ، تقربه من ربه جل وعلا ؟؟

وهل يمكن أن توجد في مجتمع روح تعاون أسمى من أن يجود الانسان بما تشتد به الحاجة اليه ؟

انه ما من انسان يلحظ هذا المجتمع الذي تظلله غمامة الايمان الا ويرى أنه مجتمع متماسك متعاون ، يستطيع أن يقف يدا واحدة في وجه عدوه الغاشم ، وأن ينتصر عليه في أقل من فواق ناقة !!

---

(١) رواه « أبو يعلى » والبزاز عن أنس ، و « الطبراني » عن ابن مسعود ٠

(٢) رواه الامام « أحمد » ٠

هــذا وان الخير العميم لن يكــون قاصرا على هذا المجتمع المؤمن ، بل سيتعداه الى سواه ، فالمؤمن يسعى الى نشر الخير بين الانسانية جمعاء ،قال تعــالى :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »(١) .

ومهما يكن من أمر ، فان الايمــان لا يسود في مجتمع من المجتمعات الا و نرى هذا المجتمع قد رقي الى أعلى درجات المجد المؤثل في فترة وجيزة تذهل الناظرين ... ذلك أن الايمان (أكسير) عجيب ، لا يكتفي بأن يعرض نظاما . بــل انه يزود الفرد بالدافع الباطني لتحقيق هذا النظام ... وأي نظام هو ؟ انه النظام الذي ضمن سعادة البشرية في الدنيا والدار الآخرة في آن واحد ... قال تعالى « للذين أحسنوا في هــذه الدنيا حسنة ، ولــدار الآخرة خير »(٢) .

★ ★ ★

---

(١) « سورة الأنبياء » : الآية ١٠٧ .

(٢) « سورة النحل » : الآية ٣٠ .

مكانة المؤمن عند الله

ما أرفع منزلة المؤمن عند الله !!

ويكفيه رفعة أن المولى سبحانه قد أعدّ له جنات تجري من تحتها الأنهار خالدا مخلدا ...

قال تعالى : « ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار . خالدين فيها ابدا . ذلك الفوز العظيم »(١) .

والآيات الشريفة التي تدل على عظيم ما أعده الله عز وجل للمؤمنين كثيرة . لا حاجة الى ذكرها هنا . غير أن المؤمن الذي يرى عظيم ما أعده الله له . يطمع بما هو أغلى من ذلك وأعز . يطمع برضاء

---

(١) « سورة التغابن » : الآية ٩ .

الله . يطمع بأن يصل الى مرتبة الذين « رضي الله عنهم ورضوا عنه »[1] ... ولذلك فان السيدة رابعة العدوية قالت في مناجاة لها :

(الهي ما عبدتك طمعا بجنتك . ولا خوفا من نارك . ولكن عبدتك لأنك أهل لذاك)

أجل ! هذا هو حال المؤمنين ... انهم قوم أخلصوا قلوبهم للايمان . وجعلوا قلوبهم سليمة وألسنتهم صادقة . ونفوسهم مطمئنة . وحقائقهم مستقيمة . وآذانهم مستمعة . وعيونهم ناظرة . ففازوا فوزا عظيما . وأفلحوا فلاحا ما بعده فلاح ... قال النبي (ص) : (قد أفلح من أخلص قلبه للايمان . وجعل قلبه سليما . ولسانه صادقا . ونفسه مطمئنة . وحقيقته مستقيمة . وأذنه مستمعة . وعينه ناظرة)[2] .

وقال جل وعلا : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون »[3] .

---

(1) « سورة المائدة » : الأية ١١٩ .

(2) رواه « أحمد » عن أبي ذر .

(3) « سورة المؤمنون » : الآية ٤ .

وكيف لا يفوز المؤمنون بالفلاح . وقد صار الله تعالى مولاهم ، يتعهدهم – جل وعلا – برعايته ، ويكلؤهم – تعالى اسمه – بعميم فضله ؟؟!

قال تعالى : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم »(١) .

وعلى الرغم مما للكعبة المشرفة من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين . تهفو اليها النفوس من مشارق الأرض ومغاربها . حتى ان بعضهم ليسير سنين طويلة سيرا على الأقدام ، حتى يؤدي فرضه ، وينعم بصره برؤية هذا البيت المطهر ؛ على الرغم من هذه المكانة السامية للكعبة المشرفة ، فان المؤمن أفضل عند الله منها ... فقد وقف النبي (ص) عند البيت الحرام يطوف بالكعبة ويقول : (ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك . والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك . ماله ودمه وأن نظن به الا خيرا)(٢) .

وقد استغربت قريش أن يصعد بلال فوق الكعب

---

(١) « سورة محمد » : الآية ١١

(٢) رواه « ابن ماجه » .

المشرفة ليؤذن في الناس يوم الفتح ... غير أنها ما عرفت أنه ليس في ذلك أي شيء مما ظنوا من انتهاك حرمة الكعبة ؛ فحرمتها مصونة ، ومكانتها محفوظة ، غير أن المؤمن أعظم فضلا عند الله من الكعبة المشرفة ؛ وما سمت الكعبة الا لأن المولى سبحانه اختارها لتكون رمزا لعبادته ، ودليلا على استجابة العباد لأوامر ربهم ؛ في حين أن المؤمن قد تنوّر قلبه بنور الله ، وصار محلا لرضاه ...

لقد وصل الصحابي الجليل ، الحارث بن مالك الأنصاري ، الى مرتبة عليا من الايمان ، أمره الرسول الأعظم (ص) أن يلزمها ويحافظ عليها(١) ...

انها مرتبة من ينظرون بعين بصيرتهم ، فكأنهم يرون أهل الجنة في جنانهم يتنعمون ويتزاورون ؛ كأنهم يرون أهل النار في النار يبكون ويعولون ...

لقد أضاء نور الايمان بصائرهم فتفتحت ، فاذا هم يرون حقائق الدار الآخرة وكأنما هي (شريط سنمائي) يعرض على شاشة قلوبهم ...

---

(١) فقد قال رسول الله (ص) بعدما سمع منه الحالة الايمانية التي هو عليها : (عرفت فالزم ، عبد نوّر الله قلبه) .

انها مرتبة من كتب الله في قلوبهم الايمان ... قال تعالى : « أولئك كتب في قلوبهم الايمان »(١) .

وهل يتصور أن من يرى المعذبين في جهنم يستطيع أن يتجرأ على معصية ؟؟

وهل يدور في خلد انسان ، أن من يرى الطائعين في جناتهم يتنعمون ، يمكن أن يحول حائل بينه وبين الطاعة ؟؟

أما انه يحق لمثل هؤلاء المؤمنين أن يسامتوا الملائكة ، بل يحق لهم أن يتفوقوا على بعض الملائكة؛ فقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال :

(قال الله تعالى : عبدي المؤمن أحب الي من بعض ملائكتي »(٢) .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ، فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه : (المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته)(٣) .

وفوق هذا وذاك ، فان المؤمن ليسمو الى مرتبة

---

(١) « سورة المجادلة » : الآية ٢٢ .

(٢) رواه « الطبراني » في « الأوسط » عن أبي هريرة .

(٣) رواه « البيهقي » .

لا تدانيها مرتبة على الاطلاق ؛ فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال : (ليس شيء أكرم على الله تعالى من المؤمن)[1] ·

فهنيئا للمؤمنين ··· هنيئا لمن فاز برضوان الله تعالى ··· هنيئا لأولياء الله تعالى ··· هنيئا لمن جعلهم الله أكرم شيء عنده ··· هنيئا لمن جعلهم المولى فوق بعض ملائكته !!

ومرحى ··· ثم مرحى ··· ثم مرحى لمن سار على درب الايمان ··· درب السلامة والرضوان !!

★ ★ ★

---

(١) رواه « الطبراني » في « الأوسط » ·

الصحابة الكرام

ورأيهم في مجالس الايمان

عبد الله بن رواحة يرغب في مجالس الايمان :

كان عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – اذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله (ص) قال : تعال نؤمن بربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل . فغضب الرجل فجاء الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ألا ترى الى ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة . فقال النبي (ص) : (يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة)(١) .

وروى البيهقي عن عطاء بن يسار أن عبد الله ابن رواحة قال لصاحب له : تعال نؤمن ساعة

---

(١) أخرجه أحمد باسناد حسن عن أنس بن مالك .

قال : أولسنا بمؤمنين ؟ قال : بلى ولكنا نذكر الله فنزداد ايمانا .

وأخرج الطيالسي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : كان عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - يأخذ بيدي فيقول : تعال نؤمن ساعة ان القلب أسرع تقلباً من القدر اذا استجمعت غليانها .

وروى ابن عساكر عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال : كان عبد الله بن رواحة اذا لقيني قال لي : يا عويمر اجلس نتذاكر ساعة ، فنجلس فنتذاكر ثم يقول : هذا مجلس الايمان ، مثل الايمان مثل قميصك ، بينا أنك قد نزعته اذ لبسته ، وبينا أنك قد لبسته اذ نزعته ، القلب أسرع تقلباً من القدر اذا استجمعت غليانها .

رغبة عمر ومعاذ ـ رضي الله عنهما ـ في مجالس الايمان :

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : كان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول : قم بنا نزداد ايمانا . فيذكرون الله عز وجل(١) .

عن الاسود بن هلال قال : كنا نمشي مع معاذ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة واللالكائي في السنة .

– رضي الله عنه – فقال لنا : اجلسوا بنا نؤمن ساعة(١) ٠

حرملة يشكو نفاقه وقلة ذكره لله :

أخرج « أبو نعيم » في « الحلية » عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال :

كنت جالسا عند النبي (ص) اذ جاءه حرملة ابن زيد الأنصاري – رضي الله عنه – فجلس بين يدي رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله ، الايمان ههنا – وأشار بيده الى لسانه – والنفاق ههنا – ووضع يده على صدره – ولا يذكر الله الا قليلا ، فسكت رسول الله (ص) وردد ذلك حرملة ، فأخذ رسول الله (ص) بطرف لسان حرملة فقال : (اللهم اجعل لسانه صادقا ، وقلبه شاكرا ، وارزقه حبي وحب من يحبني ، وصيِّر أمره الى خير) ٠ فقال له حرملة : يا رسول الله ، ان لي اخوانا منافقين ، كنت فيهم رأسا ، أفلا أدلك عليهم ؟ فقال رسول الله (ص) : (من جاءنا كما جئتنا ، استغفرنا له كما استغفرنا لك ، ومن أصر على ذلك ، فالله أولى به ٠)(٢) ٠

---

(١) أخرجه « أبو نعيم » في « الحلية » ٠

(٢) « كنز العمال » ٢/٢٥٠ ٠ وأخرجه « الطبراني » واسناده لا بأس به ٠

قوم مؤمنون

أمن بالله حق الايمان :

أخرج ابن عساكر عن أنس – رضي الله عنه ، قال : ان رسول الله (ص) دخل المسجد . والحارث ابن مالك رضي الله عنه راقد . فحركه برجله . قال : ارفع رأسك . فرفع رأسه فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول لله . فقـال النبي (ص) : كيف أصبحت يا حارث بن مالك ؟ قال : أصبحت يا رسول الله مؤمنا حقا . قال : ان لكل حـق حقيقة . فما حقيقة ما تقول ؟ قال : عزفت عن الدنيا . وأظمأت نهاري ، وأسهرت ليلي . وكأني أنظـر الى عرش ربي . وكأني أنظر الى أهل الجنة فيها يتزاورون ، والى أهل النار فيها يتعاوون ، فقال له النبي (ص) : أنت امرؤ نور الله قلبك . عرفت فالزم .

وفي رواية أن رسول الله (ص) قال له : أبصرت فالزم ، ثم قال : عبد نور الله الايمان في قلبه •

فقال : يا نبي الله ، ادع الله لي بالشهادة ، فدعا له ، قال : فنودي يوما : يا خيل الله اركبي ، فكان أول فارس ركب ، وأول فارس استشهد •

اعرابي مؤمن لا يطلب الا الموت :

أخرج البيهقي عن شداد بن الهاد : أن رجلا من الأعراب جاء رسول الله (ص) فآمن به واتبعه ، فقال : أهاجر معك • فأوصى به النبي (ص) بعض أصحابه • فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله (ص) فقسمه ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ؛ وكان يرعى ظهرهم • فلما جاء دفعوه اليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسمة قسمه لك رسول الله (ص) • فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أرمى ههنا – وأشار الى حلقه – بسهم فأموت ، فأدخل الجنة • فقال : ان تصدق الله يصدقك • ثم نهضوا الى قتال العدو • فأتي به رسول الله (ص) يحمل ، وقد أصابه سهم حيث أشار • فقال النبي (ص) : هو هو ؟! قالوا :

نعم ! قال : صدق الله فصدقه . وكفنه النبي (ص) في جبة النبي (ص) ، ثم قدمه فصلى عليه . وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك . قتل شهيدا . وأنا عليه شهيد(١) .

عبد الله بن حذافة السهمي يصمد في وجه ملك الروم :

أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي رافع قال :

وجه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جيشا الى الروم . وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبي (ص) . فأسره الروم . فذهبوا به الى ملكهم . فقالوا له : ان هذا من أصحاب محمد . فقال له الطاغية : هل لك ان تنصّر وأشركك في ملكي وسلطاني ؟ فقال له عبد الله : لو أعطيتني ما تملك . وجميع ما ملكته العرب . على أن أرجع عن دين محمد (ص) طرفة عين . ما فعلت . قال اذاً أقتلك . قال : أنت وذاك . فأمر به فصلب . وقال للرماة : ارموه قريبا من يديه . قريبا من رجليه ..وهو يعرض عليه وهو يأبى . ثم أمر به

---

(١) « حياة الصحابة » جـ ١ ص ٧٤٠ .

فأنزل ، ثم دعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت ، ثم دعا بأسيرين من المسلمين ، فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى ، ثم أمر به أن يلقى فيها • فلما ذُهب به بكى ، فقيل له : انه قد بكى ، فظن أنه جزع ، فقال : ردوه • فعرض عليه النصرانية فأبى • فقال : ما أبكاك اذاً ؟ قال : أبكاني أني قلت في نفسي تلقى الساعة في هذه القدر ، فتذهب ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى في الله • قال له الطاغية: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلّي عنك ؟ قال له عبد الله : وعن جميع أسارى المسلمين ؟ قال : وعن جميع أسارى المسلمين •

قال عبد الله : فقلت في نفسي : عدو من أعداء الله ، أقبِّل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي •

فدنا منه فقبل رأسه ، فدفع اليه الأسارى • فقدم بهم على عمر — رضي الله عنه — فأخبر عمر بخبره •

فقال عمر : حق على كل مسلم أن يقبّل رأس

عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ ؛ فقام عمر فقبّل رأسه(١) ٠

وقبّل المسلمون رأسه ٠

رجل من اهل الجنة :

أخرج أحمد باسناد حسن ، والنسائي عن أنس ابن مالك ، رضي الله عنه ، قال :

كنا جلوسا مع رسول الله (ص) فقال : يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع رجل من الأنصار ، تنطف(٢) لحيته من وضوئه ، قد علّق نعليه بيده الشمال ٠ فلما كان الغد ، قال النبي (ص) مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ٠ فلما كان اليوم الثالث ، قال النبي (ص) مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول ٠ فلما قام النبي (ص) تبعه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - فقال : اني لاحيت(٣)

---

(١) « كنز العمال » : جـ ١ ص ٤٤٧ ٠

(٢) تنطف : تقطر ٠

(٣) خاصمت ٠

أبي ، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي فعلت ، قال : نعم ، قال أنس : فكان عبد الله يحدّث أنه بات معه تلك الثلاث ليالي ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه اذا تعارّ - تقلب على فراشه - ذكر الله عز وجل وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول الا خيرا .

فلما مضت الثلاث ليالي ، وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول لك ثلاث مرات : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلعت أنت الثلاث مرات ، فأردت أن آوي اليك فأنظر ما عملك ، فأقتدي بك ؛ فلم أرك عملت كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله (ص) ؟ قال : ما هو الا ما رأيت . فلما وليت دعاني ، فقال : ما هو الا ما رأيت . غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه . فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك(١) .

---

(١) « حياة الصحابة » جـ ٢ ص ٧٤٠ .

وسائل تنمية الإيمان

يقول نبي الله « دانيال » :

(يا لهفي على زمن ، يفتقد فيه الصالحون فلا يوجدون ، الا كما توجد السنبلة في اثر الحاصد ، أو كما توجد الخصلة في اثر القاطف ؛ يوشك نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيهم) .

حقا ... ان قوما قلّ فيهم الصالحون ... قلّ فيهم المؤمنون العاملـون ... لجديرون بأن يرثي الانسان لحالهم ، ويأسف على المصير المؤلم الذي ينحدرون اليه ... في حين أن طريق النجاح والفلاح بيّن واضح ، لا لبس فيه ولا غموض ... غير أنه يحتاج الى همة جبارة ، ليسير فيه الانسان صعدأ في طريق المجـد ... يحتاج الى أن ينبـذ

الانسان طريق النفوس الضعيفة ، التي لا ترى ما هو أبعد من أرنبة أنفها !

روي عن رسول الله (ص) أنه قال :

(حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات)(١) .

اذن فالامر يحتاج منا الى آن نشمر عن ساعد الجد (فمن طلب العلا سهر الليالي) وهل هناك أمنية أغلى من آن يفوز الانسان بمرتبة الايمان وبما أعده الله للمؤمنين ؟!

الطريق واضحة للميان ... همة ونشاط ، اقبال على الله ، قلب منور بنور الله ، محبة لله ولرسوله وللمؤمنين ، خشية من الله مقرونة بالرجاء ، استعداد للموت قبل نزول الموت ...

ورد في الاثر : (ان النور اذا دخل الصدر انفسح . قيل هل لذلك من علم يعرف به ، قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله)(٢) .

---

(١) متفق عليه ، عن آبي هريرة .
(٢) « المستدرك » وتعقب عن ابن مسعود .

وليس معنى ذلك أن يهمل الانسان شؤون حياته الدنيا ، بل ان المسلم ملزم شرعا بالعمل على تدبير شؤون حياته الدنيا ، ما بقي في حياته رمق ، ومابقي في الوجود حياة ... قال رسول الله (ص) :

(ان قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فان استطاع أن يغرسها فليغرسها)(١) .

أجل ، فالمسلم في عمل دائب ، يوفق بين عمل الروح وعمل الجسد ، ويوائم بين العمل للدنيا والعمل للآخره ، شعاره في ذلك القول المأثور :

(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) .

وكيف يهمل المسلم شؤون حياته الدنيا وقد حثه المولى سبحانه على أن يكون في الدنيا في حالة حسنة ، ورغّبه في ذلك ، وطلب منه أن يدعوه جل وعلا ليحقق له ذلك ؟ قال تعالى : « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا . والله سريع

---

(١) رواه « احمد » .

الحساب »(١) ٠

كثير من الناس يخطئون في مفهوم الاسلام عـن الزهد ، في حـين أنه لا رهبانيـة في الاسلام ٠٠٠ وعندما سئل سيدنا علي بن أبي طالب عن الزهد قال : (ليس الزهد أن لا تملك الدنيا ، ولكن الزهد أن لا تملكك الدنيا) ٠

ومهما يكن من أمر فانه لا غنى للمؤمن عن صحبة المؤمنين الأخيار، أولئك الذين وصفهم النبي الكريم (ص) بقوله :

(خيار أمتي اذا رؤوا ذكر الله ، وشرار أمتي المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت)(٢) ٠

لا بد له من صحبة المؤمنين العارفين، الذين يكون مرآهم مفتاحا لذكر الله ، قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

---

(١) « سورة البقرة » : الآية ٢٠١ ٠

(٢) رواه « أحمد » عن عبد الرحمن بن غنم ، و «الطبراني» في الكبير عن عبادة بن الصامت ٠

(ان من الناس مفاتيح لذكر الله . اذا رؤوا ذكر الله)(١)

وان مجلس هؤلاء المؤمنين الذاكرين خير من الدنيا وما فيها ، وما ذلك الا لأن هذه المجالس تطهر القلوب ، وتسوق الانسان الى طاعة الله ، من غير تردد أو تباطؤ . فقد روي عن أنس — رضي الله عنه — أن رسول الله (ص) قال :

(لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر الى طلوع الشمس ، أحب الي من الدنيا وما فيها ؛ ولأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة العصر الى أن تغيب الشمس ، أحب الي من الدنيا وما فيها)(٢) .

انها المجالس التي تورث الجنان الواسعة، من لدن رب كريم ، وتهب المغفرة الواسعة من لدن غفور رحيم . قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(ان لله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس ، يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر .

---

(١) رواه « الطبراني » في الكبير ، عن ابن مسعود .

(٢) رواه « البيهقي » في الشعب ، عن أنس .

فاذا وجدوا قوما يذكرون الله ، تنادوا : هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك • فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك • فيقول : كيف لو رأوني ؟ فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا • فيقول : فما يسألوني ؟ فيقولون : يسألونك الجنة • فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب ، ما رأوها • فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة • قال : فمم يتعوذون ؟ فيقولون : من النار • فيقول عز وجل : هل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا رب • فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة • فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم • فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، انما جاء لحاجة • فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)(١) •

---

(١) رواه « أحمد » و « البخاري » و « مسلم » عن أبي هريرة •

فما أسعد أولئك الذين يصحبون المؤمنين الذاكرين !!

وما أجمل أن يجد الانسان لنفسه مجلسا يرتقي به في معارج الايمان !!

وطوبى ثم طوبى لمن فاز بالايمان !!

– انتهى –

يتبع قريبا ان شاء الله ، العدد الثاني من سلسلة (شعب الايمان) كتاب :

(الايمان بالرسل)

رجاء

لكل من له ملاحظة على كتبنا أن يهدينا عيوبنا وفقا للعنوان التالي : دمشق ـ ص٠ب ٢٤١٣

وله منا جزيل الشكر ٠

هل قرأت للمؤلف ؟

النحلة تسبح الله : الكتاب الذي ياخذ بيدك في رحلة عجيبة داخل مملكة النحل . ويضع يدك على ما فيها من ابداع واتقان ، ثم يتركك لتعود الى عقلك ليرشدك العقل الى الايمان بالله .

سلسلة (قصص من التاريخ) :

١ ـ **الدين الحق** : قصة الشيخ جمال الدين السمرقندي الذي استطاع أن يدخل التتار في الاسلام على الرغم من جبروتهم .

٢ ـ **فاين الله** : كتاب يروي قصة عبد الله بن عمر مع الراعي وقصة اسلام الدكتور كراين الأمريكي الجنسية وقصصا أخرى .

٣ ـ **الايمان والزنزانة المتجولة** : قصة كعب بن مالك عندما فرض عليه رسول الله (ص) أن يسجن في جلده .

٤ ـ **أم لا كالأمهات** : يروي قصة أم استطاعت خلال غيبة زوجها في الجهاد أن تربي أحد أساتذة الامام مالك .

٥ ـ **صراع بين الفضيلة والرذيلة** : يروي الصراع النفسي العنيف الذي تعرض له بعض المؤمنين عندما جاءتهم الرذيلة تعرض نفسها عليهم .

٦ ـ **مهد البطولات** : يروي قصتين يفخر بهما التاريخ احداهما دارت حوادثها أثناء صراع أمتنا مع الرومان والثانية جرت في الجولان خلال حرب رمضان .

فهرست

سلسلة

شعب الايمان

١

الإيمان بالله

محمد حسن الحمصي

دار الرشيد
طباعة - نشر - توزيع
دمشق - ص.ب ٢٤١٣